سلسلة:

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾

الرسالة رقم (٢)

هَلْ انْتَشَرَ الإِسْلامُ بِحَدِّ السَّيفِ؟

تأليف

إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين



مُقَدِّمَة

الحمد لله القوي الكبير المتين، القهار الجبار العظيم. قال في محكم التنزيل: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣] ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنزل الحديد فيه بأس شديد ليتحقّق في عالم الشهادة عِلْمُهُ في من ينصره فيفلح، ومن بسكّين الشقاء يُذبح، وبالخذلان يُرمى فتخسر صفقته وتخيب سَفْرَتُه! ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣].

وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله، خيرُ الورى وسيّد الأنبياء، نبي الرحمة والملحمة، الضحوك القتّال، قرَع الله بناموسه ما بين الخافقين، وشقَّ نور هديهِ ظلمات الثقلين،

فأشرقت الأرض بنور ربها. أعنقت إليه منقادة ألبابُ الحكماء، وكرعت في بحر هديه حتى ضربت بعطنٍ أفئدةُ العلماء وفِطَرُ البسطاء. القائلُ فيما رواه الشيخان: «**نصرت بالرعب مسيرة شهر**» عليه الصلاة والسلام والبركة والنعمة عدد ما ذَرَّ في الأفق شارقٌ ولمع في الخضراء بارق، ورضي الله عن الأصحاب الميامين والتابعين والأتباع السابقين المقربين والأبرار أهل اليمين، زينوا مُحيّا الدنيا بعبادتهم وجهادهم، إذ دعوا الناس لدين الله بالحسنى، وقاتلوا في سبيل الله من أبى. دعوتهم: الإسلام، فمن أبى فالجزية والصغار، فمن ركب ضلالة رأسه أذاقوه الحتف المبين. فلله أجسادًا لهم طاهرة منثورة في تنائف الغبراء إعلاء لدين رب العالمين. حقيق بألويتهم الصادقة وكتائبهم السابقة وصف ابن برْدٍ:

إِذا المَلِكُ الجَبّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ
مَشَينا إِلَيهِ بِالسُيوفِ نُعاتِبُه

وَكُنّا إِذا دَبَّ العَدُوُّ لِسُخطِنا
وَراقَبَنا في ظاهِرٍ لا نُراقِبُه

رَكِـبنا لَـهُ جَـهرًا بِـكُلِّ مُثَقَّـفٍ
وَأَبـيَضَ تَستَـسقي الـدِماءَ مَـضارِبُه
وَجَـيشٍ كَجُـنحِ اللَيـلِ يَرجُـفُ بِالحَـصى
وَبِالـشَوكِ وَالـخَطِّيِّ حُـمرٌ ثَعالِبُـه
غَـدَونا لَـهُ وَالـشَمسُ في خِـدرِ أُمِّهـا
تُـطالِعُنا وَالـطَلُّ لَـم يَجـرِ ذائِبُـه
بِـضَربٍ يَـذوقُ المَـوتَ مَـن ذاقَ طَعمَـهُ
وَتُـدرِكُ مَـن نَـجّى الفِـرارُ مَثالِبُـه
كَـأَنَّ مُـثارَ الـنَقعِ فَـوقَ رُؤُسِـنا
وَأَسـيافَنا لَـيلٌ تَـهاوى كَواكِبُـه
وَأَرعَـنَ يَغـشى الـشَمسَ لَـونُ حَديـدِهِ
وَتَـخلِسُ أَبـصارَ الـكُماةِ كَتائِبُـه
تَـغَصُّ بِـهِ الأَرضُ الفَـضاءُ إِذا غَـدا
تُـزاحِمُ أَركـانَ الـجِبالِ مَـناكِبُه

مُـعِدّينَ ضِـرغامًا وَأَسـوَدَ سـالِخًا
حُـتوفًا لِـمَن دَبَّـت إِلَينـا عَقارِبُـه

ألا فالتهتزّ يا ابن الأكرمين لذكر سلفك المجاهدين، الذين مدّوا لنا سلالم المجد والعلا بإخلاصهم، وسقوه بعرقهم ودمائهم، وبنوا لنا دَرَجَ الخير والهدى بأرواحهم وجماجمهم، فرضي الله عنهم، وألحقنا بهم غير خزايا ولا ندامى ولا مفتونين ولا مبدّلين. أما بعد:

فمن مرارات الليالي وحرقات الأيام؛ أن يرى المؤمن فئامًا من خيرة قومه يتساقطون صرعى في حتوف شبهات أهل الغضب والضلال، ويستطيبون طعم الباطل وهو طُعْمُ صيدهم لو كانوا يعلمون! فغدا الصائد مصيدًا، ولو تدرّع العزّة ابتداءً لهابَتْهُ الثعالب والرخم، والقسورةُ إذا نسيَ جنسه قادتهُ المستنفِرةُ.. ألا بئس الرأي الدَّبَرى!

إنَّ مِمَّا يبلغُ بالغمِّ نَقِيَّ عظامِ الأحرار الغيارى؛ ما يرونه في هذا الزمان العصيب، من هرولة بعض سراتنا طارقين

أبواب أهل الكتاب، رافعين شعار الحوار لكن ليت شعري: أيّ حوار هذا؟! فإن كان لدعوتهم للإسلام أو كف شرهم عن الأمة أو الاتفاق على مشتركات لا تخل بالثوابت، فتخدم الأمة ولا تستذلها، وترعى مصالحها ولا تجتاحها؛ فحيهلاً. أما غيرها من تقريب هدي (الآخر!) وتسويغ فِرَاه، وإقرار تغلُّبه، وتمييع الثوابت؛ فلا ثم لا! هذا جانب.

أما الجانب الآخر؛ فيزعم بعض قومنا أن الحوارات القائمة مع أهل الأديان لا تمسُّ الأديان، ولكن يأبى عبّاد عزيز والصليب والبقر وبوذا ذلك! فقد رأينا وسمعنا الحاخام يبهت وينبح، والقس يهزأ ويجرح، والكاهن البوذي يذبح، وبعض بني قومنا يبيِّتُون على خسف يرادُ بهم!

ورأينا آخرين يهيمون في غيهم لإبطال شريعة الجهاد على غير هدى، إذ نفوا شرعية جهاد الطلب جُمْلَةً، وحشروا نصوص الوحيين في الدفاع فقط، فضلّوا وأضلّوا. بل ألف بعضهم الكتب وسطر الطروس وأحال على المحال بردّ الظواهر القواطع من براهين الوحي المنزل! ولكم أقيمت

المـؤتمرات وأُنـشئت النـدوات مـن أجـل نـشر هـذه البدعـة الدنيئة! والمحدثة الرديئة!

والخطر كامن في تبني بعض الهيئات الإسلامية العامة، وبعـض الشخـصيات العلميـة المتبوعـة بدعـةَ القـول بـأن الإسلام ليس فيه جهاد الطلب، إنما هو الدفاع فقط..كَبُرَتْ كلمةً! فمهلًا يا نعايانا!

إلى كم ذا التخلّف والتواني   وكم هذا التمادي في التمادي؟!

هل أصبح رضى الكافرين أحب غائبٍ إلينا؟! إلا إن تلك المُنَى أكذب من سراب، وأقفر من خراب ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] فيا قوماه الوَحَا الوحا! فالأماني تخدعكم، وعند الحقائق تدعكم!

إخوتاه! إياكم والضَّعةِ والهوينى، وخذوا الكتاب بقوّة، وكونوا كما قال أبو تمام:

أعاذلتي ما أخشن الليل مركبًا   وأخشن منه في الملمات راكبه
ذريني وأهوال الزمان أُقاسها   فأهواله العظمى تليها رغائبه

لقد نادى على نفسه بالجهل من دعا إلى نقض شطر فريضة الجهاد بحصره في الدفاع دون الطلب، إذ تأباه الآيات وترده الأحاديث وتشهد ببطلانه المغازي، وينقضه الإجماع المنعقد. ونحن لسنا بحاجة لأن نعرض إسلامًا مشوهًا، رغبة في ثناء أعدائه! ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨] ﴿فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩] ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]. ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

فيا دعاة الانفتاح، ماذا فتحتم في دار أمتكم من حصون حصينة وثغور منيعة؟! ماذا تركتم للمُثَّاقلين؟! والمُمِضُّ أن لسبيلهم سابلةٌ، ولدعواتهم قلوبٌ قابلة.

فإن سُئلوا: ما براهينكم؟ أحالوا على نصوص الرفق والكفّ والعفو والمسامحة، غافلين عن أضدادها في مكانها وزمانها وأهلها. ثم نراهم يُضحكون الثكلى باستدلالهم

بـدخول شـعوب في الإسـلام بجهـاد الكلمـة دون جهـاد الطلـب! وهـذا لعمـر إلهنـا تـسطيحٌ للمـسالة، ولَجَـجٌ في المناظرة! فالجميع متفقون على أن الغاية من جهاد السيف هي نشر الإسلام، فإن تحقق الأمر بدونه فقد كُفِيَ المجاهدون، لكن ماذا إن أبى الطغاة وتفرعن الجبابرة؟! وحتى لا يكابر المخالفُ؛ فنقول ــ وبالله نصول ونجول ونحاول ــ: كيف دخل الإسلام البلاد من الهند وخراسان شرقًا إلى تركيا وألبانيا وكوسوفا شمالًا، إلى مصر والمغرب العربي والأندلس غربًا؟ بل من فتح فارس والعراق والشام واليمن؟ أليست سيوف الصحابة والتابعين والأتباع؟!

ثم يركض بعضهم بشبهة مفادها؛ أنه لم يجد في الوحيين لفظ جهاد الطلب. والجواب: أن أهل العلم أخذوه استقراءً، فسبروا وقسّموا تسهيلًا لطلاب العلم، وهو مصطلح لا مُشاحّةَ فيه، فاقبلوا بمعناه الذي دلت عليه النصوص ثم سمّوه ما شئتم. فالسلف لم يسموه بذلك لأنهم نظروا للجهاد كتلة واحدة، ومن أخرج جهاد الطلب فهو المطالَبُ بالدليل،

لا لأنه خالف المصطلح، بل لأنه خالف الدليل.

ثم سار المبطل في طِوَل غيِّه فتعلّق برسالة منسوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية، ويزعم فيها أن شيخ الإسلام يقرّ ما نَحَتْ له مُبْطِلَةُ جهادِ الطلب! مع أن هذه الرسالة لم تثبت، ولو أنّهم نسبوها لغير هذا الإمام الذي جاهد في مصنفاته لإثبات جهاد الطلب ونافح عنه لكان لنسبتهم وجه، كيف وهو بطل كسروان؟! وقد نفى هذه الرسالة جمع من أهل العلم الذين خبروا مصنفات شيخ الإسلام كسليمان بن حمدان وابن إبراهيم وابن قاسم وابن باز وغيرهم، وهي عبارة عن نصوص ملفّق بعضها من كلام شيخ الإسلام مع زيادة ونقص. وقد وجّهها بعض الفضلاء توجيهًا وسطًا فقالوا بأنها لو صحّت؛ فالمراد منها الردّ على قُويلٍ فقهي ضعيف، يقول أصحابه: بأن قتال الكفار هو لأجل كفرهم لا حربهم، ولهذا فهؤلاء يرون قتل كل كافر، سواء كان قادرًا على القتال أو عاجزًا عنه، محاربًا أو مسالمًا إلا النساء والذرية، فأبطل الشيخ هذا القول الشاذ. وحتى لو افترضنا نصر الشيخ

لمذهبهم فلا عبرة بكلام أحد خالف الوحي ومنهج السلف الصالح كائنًا من كان، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٥]. ومن لم يسعه الوحي فلا وسع الله عليه! ومن ضيَّعه فهو لما سواه أشد إضاعه.

والعجب أنهم نسبوا قولهم لجماهير العلماء، وحكموا على من خالفهم بالشذوذ! فهلّا بينتم يا أهل الإجمال؟!

شُبَهٌ تهافتْ كالزجاجِ تخالها حقًّا وكلٌّ كاسرٌ مكسورُ

والعجب لا ينقضي من هؤلاء الذين يتهمون من قال بجهاد الطلب بالشذوذ، وينسبون رأيهم للجمهور، مع أن قولهم هذا محض بدعة رديئة، ومخالفة للإجماع السالف المنعقد، وكفى بذينك ضلالًا مبينًا. وقد نقل الإجماع شيخ المفسرين ابن جرير الطبري في تفسيره[١] كذلك ابن عطية

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٦٩).

في تفسيره[١] وقال العلامة ابن باز: «أما قول من قال بأن القتال للدفاع فقط، فهذا القول ما علمته لأحد من العلماء القدامى، أن الجهاد شرع في الإسلام بعد آية السيف للدفاع فقط، وأن الكفار لا يُبدؤون بالقتال وإنما يشرع للدفاع فقط»[٢].

وكأن هؤلاء لم يعلموا أن الخلاف إنما هو في فرضية جهاد الطلب هل على الأعيان، أم على الكفاية؟ وقد هجروا قول من استحبّه. ولم يقل أحد من المتقدمين بعدم مشروعيته، لكن أفراخ الاستعمار من العصرانيين استساغوا ذلك، فشقّوا كلمة الأمة وخرقوا إجماعها.

ويعرفُ أخلاق الجبانِ جوادُهُ   فيُجهِدُهُ كَرًّا ويُرهِقُهُ ذُعرًا
ومن يَحْلُ تِطلابَ المعاني بصدره   يجدْ حُلوَ ما يُعطاهُ من غيرِها مُرًّا

وبعضهم قد يظن أن الرأفة والرحمة مانعتان من جهاد الطلب، ولو أنعمَ التأمل لأيقن أن الرحمة بحذافيرها في جهاد

(١) تفسير ابن عطية (٢/ ٤٣).
(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة. ابن باز (٣/ ١٧١-٢٠١).

الطلب، لكن الميزان مائل! ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٧].
ومن يك راحمًا؛ فليقس أحيانًا على من يرحمُ.

ولْتنزّل معكم مفترضين صواب تضعيفكم حديث عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بالسَّيْفِ حتى يُعبدَ اللهُ وحدَه لا شريك له، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُم**» رواه أحمد[1] وصحّحه جمعٌ من النقاد، فما أنتم صانعون حيال محكمات

---

(١) أحمد (٢/ ٥٠، ٩٢/ ٥١١٤) وأبو داود (٤/ ٤٤/ ٤٠١٣) والبخاري في صحيحه تعليقًا بصيغة التمريض (٦/ ١١٥ - فتح) وعبد بن حميد في المنتخب (٨٤٨) وابن حجر في التغليق (٣/ ٤٤٥) وغيرهم. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاقتضاء (١/ ٢٦٩): إسناده جيد. وصحح سنده العراقي والذهبي، وله شواهد. وفيه عبد الرحمن بن ثوبان ليّنه أحمد وابن معين ووثقه غيرهم كابن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة وغيرهم، وقيل إن حكم أحمد بنكارة أحاديثه إنما هو بسبب رواية الضعفاء عنه، أما ابن معين فاختلف كلامه فيه، فروى العباس الدوري تقويته له كذلك رواه إبراهيم بن الجنيد. فسند الحديث جيد والله أعلم.

الآي: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ [البقرة: ١٩١] ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾ [البقرة: ٢١٧] ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ٨٩] ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ٥] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١] ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٤].

كذلك صريح السنة التي تُبطل ما بنيتموه وزيّفتموه؟! كقوله عليه الصلاة والسلام «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى**» متفق عليه. كذلك بفعله في جُلِّ مغازيه المباركات عليه الصلوات والسلامات والبركات. وفي حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المخرج في مسلم وغيره قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرًا على جيشٍ أو سريةٍ، أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «**اغزوا بسم الله وفي سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله... فإن هم أبوا أن يدخلوا في الإسلام فسلهم إعطاء الجزية، فإن فعلوا فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم**» وله من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذكر حديث فتح خيبر وإعطائه الراية عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأنه قال له: «**امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك**» قال: فسار علي شيئًا، ثم وقف ولم يلتفت فصرخ: يا

رسول الله: على ماذا أقاتل الناس؟ قال: «**قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله**».

فليت شعري! أين يذهب بنا أولئك المخذّلون؟! ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الرعد: ١٧].

وهذه الأحرف شطرُها لإخواننا ممن شُبِّهَ عليهم الأمر، وشطرُها لمن هُمْ خارج دائرة الإسلام ممن راجت عليهم شبه أعدائه.

والآن إلى تفصيل الكلام على السؤال الذائعِ المُحْدَثِ: هل انتشر الإسلام بحد السيف؟!

والجواب: أن في هذا السؤال إجمال موهم، إذ هو محتَمِلٌ لأكثر من مقصد، فإن كان القصد منه هذه الصيغة: هل أمر الله بالجهاد لإكراه الناس وإجبارهم على الدخول في الإسلام

ـ وهذا هو المتبادر لأذهان الكثير عند طرق السؤال أسماعهم ـ؟ فالجواب قطعًا: لا.

أما إن كان القصد منه هذه الصيغة: هل أمر الله بالجهاد في مناكب الأرض لدعوة الناس إلى الإسلام عبر دعوتهم قبل قتالهم على الترتيب إلى اعتناقه، فإن أبوا فبدفع الجزية، فإن عاندوا فبقتالهم قتالًا كريمًا يحفظ حقوقهم، كحفظ العقد، وإيفاء العهد، وإبرار الذمة، واجتناب المُثلة، والإحسان للأسرى، والكفّ عن الضّعْفَى والزَّمْنَى والأطفال والنساء والمنفردين في الصوامع.. ونحو ذلك من آداب الجهاد النبوي؛ وكان القصد منه إزاحة الطواغيت الجاثمة على حريّات الناس، وإعطاء الفرصة للإسلام لإظهار حقائقه، مع قرعِ أفئدتهم وإيقاظِها بجزية رمزيّة قد تكون أقلّ من نصاب الزكاة المفروض على المسلمين، فهذا حق لا لبس فيه. والجواب فيه بالإيجاب.

ولك أن ترى الفرق بين إكراه الناس على الإسلام، وبين إزاحة الطواغيت. فالأول قَيْدٌ للحريّة، وإدخال في نفق

النفاق! أما الثاني فهو فتح الحريّة للقلوب لتختاره إن شاءت عن قناعة ورضى ويقين. فإما الإسلام ـ وهو الغاية الخالصة ـ فيكون له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وإما الجزية. والجزية تعبير عن تبعيّته لولاية الإسلام، أو ما يسمى الحكومة الإسلامية، لذلك رُوعي فيها الذلّ والصغار قرعًا لقلبه، وتنبيها لِلُبِّهِ عَلَّ إباءَ ذُلِّ الكفر وصغاره يُنفخُ فيه فيسعد سعادة الدارين، فإن أبى إلا دينه الباطل؛ فلا إكراه في الدين، شريطة ألا يُضِلَّ الناس ويمنعهم من الدين القويم. أما إن أبى الرؤساء والكبراء إلا الجلاد؛ فلا بد منه نصحًا ورحمة بأهل المعمورة أجمعين أكتعين. ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فالحوار بالحكمة والموعظة الحسنة يكون مع المخالف ابتداءً، فإن لجّ في تردُّدِه، وتعلّق بشبهاته؛ فيُجادل بالتي هي أحسن لهدايته إليه برفق، فإن عاند الحق وكابر الهدى بعد الظهور والبيان؛ فبالجلاد ما أمكن، وبجرّه إلى الجنة بالسلاسل، وبإزاحة سلطانِهِ الظالم عَمَّنْ خلفه ممن استضعفهم واستخفهم

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

يا سادةَ الحضارةِ من بني قومي؛ ليس باللين فقط تكمل الأخلاق! فقد يركب الحليم المجرّب مراكبَ الخطر وأسنة الرماح دفعًا بساطع ألويته ثفال الباطل ودَخَنِ الضَّلال، وإحقاقًا لمباني الهدى، وإمضاءً لشُهُب الحق..بل أحيانًا في أوانها:

أحلامنا تزن الجبال رزانةً وتخالنا جِنًّا إذا ما نجهلُ

والكليم عليه السلام قد قال للمدعوِّ المتكبر: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ [الإسراء: ١٠٢] ورسول الهدى ﷺ قال للمدعوّين: «**أتيتكم بالذبح**» رواه أحمد بسند حسن. وقال لِمَنْ حكم بقتله لما قال: من للصِّبْيَة؟ قال: «**النار**»! رواه أبو داود وصححه الألباني. ووضع الندى في موضع السيف بالعُلى مضرٌّ..

وبالجملة؛ فلكل حال لبوسه، فالأصل والقاعدة الرفق واللين والتبشير والإحسان. والاستثناء عند موجبه هو الإنذار والشدة والقتل، ويا منصور أَمِتْ!

وتلك حروبٌ من يغب عن غمارها
ليسلم يقرع بعدها سنّ نادمِ

يا رفاق: لقد كدَّرَ شِرْبَ العلومِ شَوْبُ الأهويةِ، فلكم تزعزعت بِقَالاتِ السوء أبنيةُ المتقين، ووهنت عزائمُ المؤمنين، واضطربت ثوابتُ الزاهدين! ولكنهم ـ حمدًا لربنا ـ لا يُعدمون نصح الناصحين:

وشمِّر فقد أبدى لك الموت وجهَهُ
وليس ينال الفوزَ إلا المُشمرُ

وأخلص لدين الله صدرًا ونيّةً
فإن الذي تخفيه يومًا سيظهرُ

يا صاحبي: كم زُخرف باطل وسُوِّقَ، وَرُدَّ حقٌّ وأُميت..بركوب رواحل المجملات؟! وسبيل الهدى هو

التفصيل لا الإجمال، خاصة عند معترك التنازع.

ألا وإن كلامَ مسوِّقي بدعة نفي شرعيّة جهاد الطلب؛ محضُ انهزام، يدل سائره على غابره، وأوله على آخره. ومُرادُ أهل الأهواء من التكلم بتلك العبارات المشتبهة المجملة خداع الجهلة وخبط أذهانهم بالمجملات، فلا يتنبهوا لها، فيطيروا بهم لمهاجع الضلالة ومراقد الفتن!

ولا يعني هذا ولا ما قبله ولا ما بعده اتهام من قال بتلك البدعة بسوء النية والقصد، بل الغرض هتك باطله ودحض شبهته، وإلا فهو أخٌ في الدين كريم، قد راجت عليه شبهة ظنها حقًّا، أو هجمت عليه شهوة ظنّها هيّنة، أو اختلط سيل شهوته بأبطحِ شبهته فلقحتْ غير كريمة! وكم لأبي مِرَّة من شهوةٍ في ثوب تأويل!

قال تقي الدين ابن تيمية مبينًا شرَّ المجملات عند التنازعات، وفي كلامه من نَفَسِ إمام السنة المُبَجَّل: «أهلُ البدع يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون الناس بما

يـشبّهون عليـهم، مثـل قـولهم: لـيس بمتحيّـز ولا في جهـة ولا كذا ولا كذا، فإن هذه ألفاظ مجملة متشابهة، يمكن تفسيرها بوجه حق، ويمكن تفسيرها بوجه باطل»[١] وقال: «وما يذكره هؤلاء من تعظيم علوم الأسرار، والأمر بكتمانها عن الجمهور، وقصور الجمهور عن إدراك حقائق، هو كلام مجمل، يقوله الصديق والزنديق!»[٢] كما ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ قاعدة نافعة في المجملات، فحينما تكلم في بعض العبارات قال: «لم يجز إطلاق هذه العبارة إذا عنى بها المتكلم معنى صحيحًا، وهو يعلم أن المستمع يفهم منها معنى فاسدًا؛ لم يكن له أن يطلقها لما فيه من التلبيس، إذ المقصود من الكلام البيان دون التلبيس»[٣] وقال: «إنّ كثيرا من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة ومعان مشتبهة، حتى تجدَ الرجلين يتخاصمان، ويتعاديان على إطلاق ألفاظ ونفيها، ولو سئل كلّ منهما عن

(١) الفتاوى الكبرى (٦ / ٣٥٣).

(٢) درء التعارض (٥/ ٨٥).

(٣) الاستغاثة (الرد على البكري) (٢/٥٢٢).

معنى ما قاله لم يتصوره، فضلًا عن أن يعرف دليله»[١] وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعليك بالتفصيل والتبيين فالـ إجمال والإطلاق دون بيانِ
قد أفسدا هذا الوجود وخبطا الـ أذهان والآراء كل زمانِ

وقال ابن أبي العزّ رَحِمَهُ اللَّهُ مبيّنا معتقد أهل السنة والجماعة: «والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة»[٢] وفي ما ذكرناه مقنع لراغب الحق.

وبالجملة؛ فجهاد الطلب قد مرَّ بأربع مراحل: المنع، ثم الإذن، ثم الأمر بقتال من قاتل، ثم الأمر بقتال المشركين كافة إما على الفرض العيني أو الكفائي وهو الأظهر، وقد بسط ذلك شيخا الإسلام في كثير من مصنفاتهما.

قال شيخ الإسلام في هذه القضية المشغوب بها: «ثم

---

(١) الفتاوى (١٢/ ١١٤).

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/ ٧١).

أنزل في براءة الأمر بنبذ العهود وأمرهم بقتال المشركين كافّة، وأمرهم بقتال أهل الكتاب إذا لم يسلموا، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، ولم يبح لهم ترك قتالهم وإن سالموهم وهادنوهم هدنة مطلقة مع إمكان جهادهم»[(١)] وقال أيضًا: «وجملة ذلك أنه لما نزلت براءة، أُمر أن يَبتدِأَ جميعَ الكفار بالقتال وثنيَّهُم وكتابيَّهُم، سواء كفوا عنه أو لم يكفوا»[(٢)] وقال: «كل من بلغته دعوة رسول الله ﷺ إلى دين الله الذي بعثه به فلم يستجب له، فإنه يجب قتاله»[(٣)] وقال ابن القيم: «وأما جهاد الطلب الخالص فلا يَرغبُ فيه إلا أحدُ رجلين؛ إما عظيم الإيمان يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله، وإما راغب في المغنم والسبي، فجهاد الدفع يقصده كل أحد ولا يرغب عنه إلا الجبان المذموم شرعًا وعقلًا، وجهاد الطلب الخالص لله يقصده سادات

---

(١) الجواب الصحيح (١/ ٢٣٣).

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ (٤١٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٤٩).

المؤمنين»[١].

أما قضية الهدنة أو الصلح إلى أمدٍ أو إلى غير إمدٍ؛ فليست مما نحن بسبيله، فلا تَرِدُ علينا.

---

(١) الفروسية (١٨٧-١٨٨).

شبهة

انتشار الإسلام بالسيف والإكراه عند غير المسلمين

ولرواج هذه الشبهة منذ عهود الاستشراق؛ سأبسط القول فيها فأقول مستعيناً بالله:

لمّا بَهَرَ الإسلامُ أعداءَهُ بكماله وجماله وجلاله، ورأوه يتمدد بسرعة في الأمصار، ويفتحُ القلوب قبل البلدان؛ حاولوا أن يجعلوا بين الناس وبينه حواجز فكرية كي لا يُرخوا آذانهم لبيانه، ولا يصغوا لآياته، وهذا ديدن المشركين منذ القدم، ومن تلك الشبهات والحواجز التي ألقوها في مجتمعاتهم المتململة من ديانتها النصرانية الوثنية، المتشوّفَة إلى دين الرحمة والكمال والجمال والجلال شبهةُ إكراهِ الناس على اعتناقه، فقالوا: إن دخول الناس في الإسلام كان بالسيف والإكراه، إذن فهو دين كراهية وإجبار، لا دين حرية وقناعة! كل هذا من أجل إلصاق الكراهية في نفوس البقية الباقية من المتشوِّقين الناظرين لتعاليمه وتطبيقاته، وأنى لهم ذلك

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٨، ٩].

هذا وإن الإسلام هو دين التسامح، قال ول ديورانت: «لقد تمتع المسيحيون في العالم الإسلامي بتسامح ديني ما كان حاكم مسيحي ليحلم بمنحه للمسلمين في أي بلد مسيحي»(١).

ثم نقول لكل منصفٍ حُرٍّ نبيلٍ:

هل ذنب الإسلام أن نبيّه لم يسلّم نفسه للقتل والصلب ـ كما افتريتموه على المسيح عليه السلام ـ؟!

هل ذنب الإسلام أن هاجر نبيُّه وكوّن دولة متينة، وبنى حضارة نبيلة كريمة، ودافع عنها ببسالة وتضحية ووفاء؟!

هل ذنب الإسلام أن دعا الناس بالحسنى والإقناع حتى دخلوا فيه أفواجًا، فكانت كل قبيلة توفد للمدينة أعقلها رأيًا،

---

(١) قصة الحضارة (٣٠/١٣٦).

وأنفذها بصيرة، وأكيسها حجةً، حتى ينظروا حال النبي ﷺ ومقاله، فيعودوا وقد بايعوه على الإسلام، ورجعوا هداة لقومهم؟!

هل ذنب الإسلام أنه يقدم العفو والمسامحة والإحسان على العقوبة والانتقام، فمَلَكَ قلوبَ أعدائه فأسلموا؟! ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصلت: ٣٤- ٣٦].

هل ذنب الإسلام أن بدأ مخالفيه بالدعوة بالحكمة والبيان، وتوضيح الحجج وكشف الشبه، ثم ثنّى بالموعظة الحسنة وذكر يوم القيامة والترهيب من هول الموقف بين يدي العزيز الجبار سبحانه، وذكر الجنة والنار حتى تلين قلوب الغافلين، وتستيقظ أفئدة الّلاهين، ثم ثَلَّثَ بالمجادلة والمحاورة بأحسن الطرق وأجمل الأساليب ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ

رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، فإن حال بين الناس وبينه قوى مانعةٌ من إبلاغه أزالها بحدِّ السيف على قدر الحاجة، لأن من الظلم ترك الطواغيت تحول بين الناس وبين هداها، بل العدالة تقتضي أن تُزالَ الطواغيت عن حرّيّات النفوس، ثم يُعرض الدين على الناس، فإن قبلوه فحَسَنٌ، وإلا لم يُكرهوا عليه بأي حال من الأحوال، والنصوص شاهدة والتاريخ ناطق بصحة ذلك.

وليس كحال منظمات التنصير العالمية، التي تستغل حاجة وفقر ومرض المسلمين لتنصيرهم وإضلالهم. ولولا أن المسيحية المُبَدَّلةَ باطلة؛ ما بقي على ظهر الأرض أحدٌ إلا دخلها، لِعَظِيم جُهْدِ المُنَصِّرين، ولولا أن الإسلام حقٌّ؛ ما بقي في المسلمين أحدٌ إلا اعتنق النصرانية، ولكن العاميّ الواحد من المسلمين بصفاء فطرته، وبداهة عقله، يستطيع كشف شبهات أكبر القساوسة، بل ويهتك أصولهم، ناهيك عن أهل العلم والمناظرة! قال الله عز وجلّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ

بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨] وصدق رسول الله ﷺ: «**لن يشاد أحد هذا الدين إلا غلبه**» متفق عليه. ولا زال علماء المسلمين يناظرون علماء النصارى ويفلجونهم ويكتسحونهم في المناظرات والحوارات، واعتبر ذلك بأشهر المعاصرين الشيخ أحمد ديدات رحمه الله، ولا زالت مناظراته مسجلة مسموعة ومرئية ومقروءة.

إن الإسلام العظيم دين عالمي بامتياز، وهو رسالة إلهية إلى جميع البشر، وقد أخذ حملته على عاتقهم إبلاغ هذه الرسالة الهادية الرحيمة بأحسن الأساليب وأرقى التعاملات(١)، ففي البداية بإرسال الرسائل أو المشافهة المباشرة كما فعل رسول الله ﷺ لما أرسل إلى كسرى وقيصر

---

(١) مع تسجيل حالات فردية لأفراد محسوبين على الإسلام انتماءً، لكنهم خالفوه في نهج الرحمة والحكمة والصبر اللين والبداءة بالرفق والإحسان، ولا يزال في كل أمة أفراد ومجموعات يسيئون إلى أممهم من حيث لا يشعرون، ولكن المنصف هو من لا يحمّل شريعة الرحمة والإحسان أخطاء بعض المنتمين إليها.

والمقوقس وحاكم عمان والبحرين وغيرها، ثم بإرسال الدعاة الهداة، ثم بإرسال الجيوش الفاتحة التي تقف على الحدود، ولا تدخل البلدان فجأة ولا خلسة ولا غدرًا، بل تراسل الحكومات وتطلب منها الدخول في الإسلام عن اختيار وطواعية، فإن أسلموا فَلَهُمْ كلّ ما للمسلمين وعليهم كل ما عليهم، بلا عنصريّة ولا طبقيّة ولا تعصّب، فإن أبوا ذلك فهناك خيار سلمي ثان مبذول لهم؛ وهو دفع الجزية للمسلمين، وهي رمزيّة لتبعية معطي الجزية تلك الحكومة للدولة الإسلامية، وليس ذلك ببدع عليهم فالجزية موجودة في الكتاب المقدس لدى أهل الكتاب (البيبل) ولا زالت موجودة في شرائع العهد القديم والجديد (يشوع ١٦ : ١٠) (أخبار الأيام (٢) ٢٤ : ٢) (أخبار الأيام (٢) ٨ : ٧) (متى ٢١ : ١٧-٢١) (رومية ١٣ : ١-٧).

قالت كارين في كتابها (القدس): «والجزية التي فُرضتْ على اليهود والنصارى كانت أقل من الزكاة المفروضة على المسلمين، فقد كانت الجزية دينارًا واحدًا عن الأسرة في

العام، أما الزكاة فكانت نسبة ثابتة من رأس المال ومن الثمار والحبوب والأغنام والإبل... وقد أُعطي من الجزية الشيوخ والأرامل والعاجزين، وكان لهم نصيب ثابت يأخذونه من بيت مال المسلمين ما يكفيهم لحياة شريفة»[١].

فغاية الجزية شريفة، وغرضها نبيل، ومن حكمتها الوصول إلى عامة ونخب الناس ودعوتهم بهدوء وإقناع للدخول في الدين.

فإن أبت الحكومات ذينك الخيارين فإن الدولة الإسلامية تكون قد اضطرت إلى السيف لإقامة دين الله في أرض الله بعد استنفاذ كل الوسائل السلميّة.

ومع ذلك فاستخدامها القوة قد قُيِّدَ بضوابطَ صارمة وتعليمات حازمة حفظًا لكرامة بني الإنسان من الانتهاك أو الانتقاص، فمنع أفراد الجيش المسلم من الظلم والنهب والاغتصاب وقتل غير المقاتلين، ومن إهلاك الحرث والنسل

---

(١) القدس (٣٩١).

ومـن جميـع ضروب الإفـساد، والجنـدي المـسلم مُطالـب أن يفتح القلوب قبل البلدان، وبأن يكون في الغاية من الرقي الحضاري الأخلاقي، قال الخليفة الأول أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في وصيته لقائد جيشه ـ وقد أخذ هذه الوصايا من نبيه ﷺ ـ: «**لا تـخونوا، ولا تغلّـوا، ولا تُمَثِّلُـوا، ولا تقتلـوا طفـلًا ولا شـيخًا، ولا تقطعوا نخلًا ولا تحرقوه، ولا تقطعـوا شـجرة مثمـرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكَلَةٍ، وسـوف تمـرُّون عـلى قوم فرّغوا أنفسهم في الصوامع؛ فدعُوهم وما فرّغوا أنفسهم لـه**». وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء، وقال زاجرًا جنده لما رأى امرأة قتيلة: «**ألم أنهكم عن قتـل النـساء؟!**» رواه البخاري، وقال: «**ما كانت هذه لتقاتل**» رواه البخاري، ونهى كذلك عن المُثلة. وهي التمثيل بالجسد وتقطيعه وبقره بعد موته.

يا صاحبي: إن الهدف الأسمى للجهاد في سبيل الله في فتح البلاد هو بعث حريّة الناس من مرقدها المكبوت، ونفخ روح الخيار الذاتي فيها بإزالة القيادة الكفرية التي تتحكم في

أمر العامة وتحول بينهم وبين معرفة حقيقة الإسلام، وكما قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [الأنفال: ٣٩] والفتنة هي الشرك. فإذا تولى المسلمون القيادة، وخالطوا أهل البلاد المفتوحة، أَرَوْهُمْ عظمةَ الإسلام وجماله وجلاله وكماله بفعلهم وتطبيقهم قبل قولهم ومنطقهم، وأظهروا حسن مبادئه، وعدلوا فيهم، بل ورحموهم، كما كانوا يسقطون عنهم الجزية في حال فقرهم وعجزهم، وينفقون عليهم من بيت المال ما يكفيهم، ويمنعون من ظلمهم ويمنعونهم من ظلم بعضهم لبعض، ولما ضرب أحد أبناء الولاة المسلمين أحد الأقباط بمصر استدعاه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب للمدينة وأقاده منه، وقال كلمته المشهورة التي عبرت البحار وطارت خلف الجبال وتذاكرها السمّار والخطباء: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟!» وقد صارت فيما بعد هي القرار الأول لميثاق حقوق الإنسان في المنظمات العالمية.

ولما رأى أهل البلاد المفتوحة ـ صلحًا أو عنوةً ـ هذا العدل وتلك الرحمة فتحوا قلوبهم لهداية الإسلام، فأضحوا من أهله ودخلوا في دين الله أفواجًا، وصاروا من قادته الفاتحين وعلمائه الصادقين وعُبَّادِهِ المجتهدين، فهم قد أيقنوا وشاهدوا الهدف الأساسي من الجهاد في سبيل الله، ألا وهو صلاحهم وهدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وليس توسعة البلاد ماديًّا وجلب الأموال لخزائنها والجواري لفرشها، بل توسعة البلاد روحيًّا، والسعي لنصح الناس ونشر الرسالة السماوية الخالدة، وإيصال رحمتها إلى سويداء قلوب العالمين.

ولما أتى خليفةُ المسلمين الفاروقُ عُمَرُ الذي سحق دولة الأكاسرة، وأزاح دولة القياصرة ـ بأمر ربِّه ـ رآه الناس داخلًا بيت المقدس لاستلام مفاتيحها، وشاهدوه وهو يمشي على رجليه يقود البعير الذي يحمل خادمه فقالوا: «والله ما هذه بأخلاق الملوك، إنما هي قبس من نور الأنبياء».

ولك أن تتأمل وصية رسول الله ﷺ لصهره وقائد

جيشه علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حين أرسله لفتح خيبر وأعطاه الراية، وبشَّرَهُ بالفتح وقال: «**انفذ على رسلك** (أي بتؤدة ولين ورفق) **حتى تنزل بساحتهم** (أي تقترب من حصونهم وتقف على مكان يرونك ويسمعونك، بدون طيش وأصوات مزعجة، ومن غير ضعف ولا انتقاص عزيمة) **ثم ادعهم إلى الإسلام** (وهذا غاية المطالب؛ فالقصد من الجهاد هو هدايتهم للإسلام، فمع أنهم قد دُعوا من قبل للإسلام وأبوا، فأمره بتكرار الدعوة لهم حتى يعلموا أنه القصد من الجهاد، وليس التشفّي بهم، أو أخذ أموالهم، بل هدايتهم وإنقاذهم من هلكة الكفر ومباءة الضلال) **وأخبرْهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه** (فأكد على أن الإسلام هو محض حق الله تعالى وحده، ثم ختم الوصية بهذه الجملة الرائعة الرائدة لكل محب للبشرية، طامع في الزلفى إلى رب البرية) **فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا خير لك من حمر النعم**» متفق على صحته.

وحمر النعم هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب،

فأكّد رسول الله ﷺ وصيته بالقسم؛ أن هداية إنسانٍ واحدٍ للإسلام، وإنقاذَهُ من غضب الله وعذابه؛ خيرٌ من امتلاك الدنيا بأطرافها.. فهل بعد هذه الوصية النبوية السامِيَةِ، والرحمة المحمدية الهادية، من مأخذ على الإسلام؟! كلا وربي! ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

لقد حفظ التاريخ أن الجيش الإسلامي قد دخل طشقند في المشرق، فأرسل أهلُها إلى الخليفة الأموي في دمشق أن الجيش لم ينذرْهم بل بَغَتَهُم، فاستشار الخليفة علماء المسلمين، فأمروه بإخراج جيش المسلمين إلى خارج أسوار مدينة طشقند، وأن لا يبقى فيها جندي مسلم واحد، والالتزام بدعوة المدينة للإسلام أولًا ثم الجزية ثانيًا فإن أبوا فالقتال عن بيّنة، وقد امتثل الجيش المسلم لذلك فخرج عن المدينة الحصينة، فلما أغلق أهلُها الأبواب، وتمّت لهم المنعة؛ فتحوها مرة أخرى طواعية واختيارًا وحبًّا وانبهارًا بهذه الأخلاق العالية الجميلة، ودخلوا في الإسلام بدون قطرة دم، وهذه غاية الجهاد في سبيل الله أن تكون كلمة الله هي العليا، وهي

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

لقد كان نبي الرحمة صلوات الله وسلامه عليه يدعو لقومه بالهداية وبالمغفرة، حتى يوم كسرهم لثنيته الغالية، وشجّهم لوجهه الشريف وإدخالهم حلقتي المغفر في وجنتيه الجليلتين لمّا غزوه في أحد، وهو يقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**» متفق عليه(١).

وكان يوصي سراياه بقوله: «**لا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا طفلًا ولا امرأة...**». رواه مسلم وأبو داود.

ولا غرابة، فربُّهُ تعالى قد رباه على الرحمة والرأفة والحكمة، ففي محكم التنزيل: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١]، ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]، ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ

---

(١) ويُحتمل أنه أراد حكاية قول النبي الحاكي قصته . انظر كلام الحافظ ابن حجر في شرح الحديثين (الفتح: ٣٤٧٧، ٦٩٢٩).

رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٥-١٢٨]، ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]، ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثية: ١٤، ١٥]، ﴿وَلَوْ شَآءَ

رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤].

لقد كان رسول الله ﷺ قادرًا على إرسال فدائيين لمكة في جنح الليل لكسر الأصنام، لكنه لم يفعل لأنه يريد كسرها في قلوبهم أولًا حتى يكسروها هم بأيديهم في ثاني الحال إذا ثبت لهم أنها لا تضرّ ولا تنفع، إذ كانوا متعلقين بها يرجون نفعها ويخافون ضرّها، حتى قال زعيمهم أبو سفيان ــ وقد أسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه ــ في أُحُدٍ مفتخرًا بأوثانه وأصنامه مستجلبًا نصرها: أُعْلُ هُبَل[1]، فأمر رسول الله ﷺ رجاله أن يردوا عليه بقولهم: «**الله أعلى وأجلّ**»، فقال أبو

(١) صنم من ياقوت كان في جوف الكعبة.

سفيان: لنا العزّى ولا عزّى لكم[١]، فأمرهم ﷺ أن يقولوا: «**الله مولانا ولا مولى لكم**»[٢].

وصدق رسول الله ﷺ وصدق أصحابه لما جرّدوا توحيدهم لربهم تعالى وأخلصوا دينهم لوجهه فنصرهم حتى عادوا وفتحوا مكة، وكسر ﷺ أصنامها بنفسه وهو يردد: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١] فسحق كلَّ الأصنام التي في الحرم، وهناك علم المشركون أن أصنامهم لا تغني عنهم من الله شيئًا، وأن الله هو المولى الحقيقي والناصر الغالب، فانقشعت الغشاوة، وتبخرت وساوس إبليس، وتكسرت الوثنية في صدورهم وهدمت في قلوبهم، فملأها التوحيد والإيمان، ودخلوا في دين الله العظيم القويم، وصاروا من قادة الإسلام. وهكذا يعصف التوحيد بالوثنِ.

---

(١) وهي شجرة كانوا يعبدونها.

(٢) تفصيلها في سيرة ابن هشام وزاد المعاد والبداية والنهاية (غزوة أحد).

لقد أخذ المسلمون هذا الدرس العملي وطبقوه في فتوحاتهم، فبعد سنين طويلة فتح محمود بن سبكتكين بجيشه المسلم ربوع الهند حتى وصل إلى أكبر معبد فيها، وقد جمع الهنادكةُ فيه كبار آلهتهم وأصنامهم، ومنها صنم كبير قد صاغوه من الذهب الأحمر الخالص، ورصّعوه بأنفس الجواهر واليواقيت والزبرجد والألماس فأمر بكسرها وحرقها، ثم عرضوا على محمود أن يعطوه أحمالَ الذهب والفضة والجواهر على أن يترك لهم تلك الأصنام ـ مع شدة حاجة المسلمين إلى المال حينها ـ فأبى ذلك بعزة إسلامية، وقد قولته الخالدة: «إذا وقفت الأشهاد بين يدي رب العباد في يوم المعاد، فأريد أن أُنادى بين يدي الله تعالى: هذا كاسر الأصنام وهادم الأوثان» وفعلًا هدمها وحرقها، فلما علمت الهنود أن آلهتهم لم تغن عنهم من الله شيئًا دخل عديدهم في الإسلام حتى صاروا من قادته ورؤسائه وسادته، ولا زالوا حتى اليوم وقد جاوزت أعدادهم الملايين، فلله الحمد والمنة على نعمة الإسلام والإيمان.

ثم كيف يستقيم الزعم بأن الإسلام قد انتشر بالسيف، ونحن نرى أن أكبر دولة إسلامية من حيث عدد السكان هي إندونيسيا التي فاق سكانها مئة مليون مسلم، مع العلم بأنه لم يُطلق في بلدهم رصاصة واحدة ولم تُنهر منهم قطرة دم واحدة من أجل إدخالهم في دين الله؟!

وماليزيا غالبيتها مسلمون ولم يطأ بلادهم جندي مسلم واحد؟!

لقد رأوا في أخلاق تجار المسلمين وحسن سيرتهم واتفاق ظاهرهم مع باطنهم وجمال شعائرهم، ما ملأ قلوبهم الضامئة للحق، ونفوسهم المتلهّفة للتوازن الروحي النفسي العقلي الجسدي.

لقد انتشر الإسلام بسيف الوحي والفكر والعلم والدعوة الحسنة والقدوة المثالية، أما سيف البطش فكان لإزالة العقبات المادية عن القلوب ليس إلا.

وتأمل الشهادة المنصفة للمؤرخ النصراني هـ. سانت. ل. موس في كتابه (ميلاد العصور الوسطى) حيث كتب

مشكورًا: «أقام المسلمون والعرب في مصر دولة تتصف بالسماحة والتسامح المطلق مع باقي الأديان، ولم ينشروا عقائدهم بالقوّة، بل تركوا رعاياهم أحرارًا في ممارسة عقائدهم بشرط أداء الجزية، فقام النصارى باعتناق الإسلام رويدًا رويدًا، وكان الاضطهاد الروماني (النصراني) وكثرة الضرائب والقهر الديني (الكاثوليكي) لشعوب مصر والشام سببًا في ضياع ولاء هؤلاء للدولة البيزنطية (النصرانية) بل ساعدوا المسلمين.

ولقد قام البيزنطيين بمذابح بشعة ضد اليهود أيضًا لأجل تنصيرهم بالإكراه، ولقد عرض الإمبراطور هرقل عقيدة روما في المسيح (الطبيعتين والمشيئتين) على سكان مصر والشام المؤمنين بعقيدة الطبيعة الواحدة في المسيح، فرفضوا عقيدة روما، فأنزل بهم الرومان أشد أنواع التنكيل، وعندما انتصر المسلمون على الروم ساد الفرح الشعوب النصرانية الشرقية، واعتبروا أن هذا هو عقاب السماء للرومان الكفار (هراطقة خلقيدونيا الكاثوليك)... وقد

دخل المسلمون مصر بدون إراقة نقطة دم واحدة، أو تدمير ممتلكات، بل تم إخضاعها سلميًا».

وقال الدكتور أحمد سوسة ـ وكان يهوديًّا فأسلم وهو مهندس عراقي ـ: «وجد اليهود تحت راية الإسلام أمنًا وعدلًا، واتقوا شر الاضطهاد والاعتداء... »[1].

وقال المؤرخ العالمي ول ديورانت: «المسيحيون كانوا في كثير من الأحيان يفضّلون حكم المسلمين على حكم أهل ملتهم»[2] وقال: «كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون، يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرًا في المسيحية هذه الأيام»[3].

والعجب أن من يحمل كِبَرَ هذه الافتراءات هم رجال الكنيسة المسيحية (المبدلة بالطبع)! وتناسوا وتعاموا وتغافلوا

(١) في طريقي للإسلام (ص٨٥).
(٢) قصة الحضارة (١٣/ ٢٩٧).
(٣) السابق (١٣/ ١٣٠، ١٣١).

عن أن كنيستهم قد قامت على الدم والجماجم والظلم والاضطهاد، ومن له أدنى دراية بالتاريخ يدهش ويصعق من فضاعة تلك الأخبار الشنيعة، ونقول لهؤلاء:

ألم تقم الكنيسة الرومانية بقتل المخالفين بالسيف، وإحراق أناجيلهم؟!

ألم تقم الحروب بين الكنائس دهورًا، وراح ضحيتها مئات الآلاف من النساء والشيوخ والأطفال والرجال المظلومين في القرون الوسطى المظلمة؟! أي في أوروبا، أما الإسلام فكان عصره زاهرًا.

ألم تتحارب الكنيستين وتكفر إحداهما الأخرى وكلًّا منهما تصدر صك الحرمان للأخرى وصك الغفران لأتباعها؟!

ألم تقم محاكم التفتيش البشعة بكل ألوان الهمجية التي عرفها بنو آدم ضد المسلمين واليهود والنصارى المخالفين في إسبانيا؟ بل وطال حتى من هرب لهولندا وإنجلترا.

كذلك أفلم تقم الجيوش الصليبية بالحرب ـ المقدسة! ـ

ضد المسلمين في الشام فقتلت في بضعة أيام تسعين ألفًا من الأبرياء، جلّهم من الأطفال والنساء؟!

ألم يتفننوا في إحراق أسراهم بالنار وهم يشربون نخب ذلك النصر المقدس؟![1].

ألم تُجرم جيوش النصارى الأوروبيين بالهنود الحمر ـ أهل أمريكا الأصليين ـ وتقترف في حقهم أشنع الجرائم في التاريخ الأمريكي على الإطلاق؟!

ألم يحرقوهم، ويبيدوهم، ويبقروا بطون الحوامل، ويلقوا الرجل للكلاب الضارية، ويجعلوا الأطفال أهدافًا لتدريب القناصة؟! ولا عجب فهم يقرؤون في كتابهم المقدس عن داود عليه السلام ـ وكذبوا ـ: «وأخرج الشعب الذين فيها ووضعهم تحت المناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرّهم في آتون الأجر وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون» (صموئيل (٢) ١٢: ٣١) وغيرها كثير لا يحصر، ونوارج

(١) انظر تلك الفظائع والفضائح في قصة الحضارة (١٥/ ٢٥- ٢٨).

الحديد آلات زراعية ضخمة لسحق الحبوب، وآتون الأجر هي أفران الغاز! فهل كان هتلر يرد لهم الصاع الأوفى؟!

ألم تقم الحربين العالميتين المدمرتين على أطماع الدول المسيحية البولسية؟!

ألم يهلك في الحرب العالمية الثانية سبعون مليونًا من البشر سوى المصابين والزَّمْنَى وهدم البنى التحتية وتسميم الهواء والكوارث البيئية بالأسلحة التقليدية والجرثومية والكيميائية والنووية... كل هذا قربانًا لأطماع قادة المسيحية المبدلة؟!

هل راعت أمريكا البروتستانتية الأبرياء في هيروشيما ونجازاكي بحرقهم دفعة واحدة بالسلاح النووي وتشويه من بقي حيًا إلى أجياله المتعاقبة؟!

هل راعى الكاثوليك الألمان البروتستانت الإنجليز حين أمطروا لندن بقنابل كالمطر لا تبقي ولا تذر؟!

ثم ألم يكن الرد أعنف وأبشع بإحراق برلين بالقصف الكثيف وتدمير المساكن على الأبرياء، وإهلاك الحرث

والنسل؟!

ألم تكن الدول الصليبية هي من سيرت ملايين الجنود الذين لا حيلة لهم في مجاهل سيبيريا وبردها المميت، تارة بدفع الكاثوليك الألمان وأخرى أسارى مقيدين من الروس الأرثوذكس، فأهلكهم البرد والجوع والأوبئة والقنابل والرصاص؟! أما مئات الألوف من مسلمي القوقاز الذين قضوا في ثلوج سيبيريا الرهيبة، فالله وحده يعلم الأهوال التي أكلتهم بنسائهم وأطفالهم!

أهذا دين السلام الذي تزعمون؟!

أفلا يستحيي مورد تلك الفرية على دين الرحمة والسلام الذي شدد في تحريم قتل المدنيين العزل بل حتى إتلاف الحرث والزرع والحيوان؟!

ألم تقم بريطانيا (العظمى!) البروتستانتية بتقديم جنودها من الراجلة الهنود أمام جنودها النظامية البيض أثناء عبور حقول الألغام؟!

ألم تقم صربيا الأرثوذكسية بالمذابح الجماعية المروعة

ضد المسلمين في البوسنة والهرسك وكوسوفا، وإخفائهم في مقابر جماعية كسربتتشيا؟!

ألم تنتقم أمريكا رأس النصرانية الحالية من المسلمين بقتل مليوني مسلم أكثرهم من المدنيين في العراق، وشوّهت المواليد بقذائف البلوتونيوم واليورانيوم المشعّ، ومنعت دخول حليب الأطفال ودواءهم للعراق حتى مات نصف مليون طفل عراقي مسلم؟!

ألم يقتحم جنود أمريكا الصليبيون مكتبة بغداد الكبرى التي حوت أروع نفائس الكتب ثم حرقوها بالنار في همجية تاريخية؟!

ألم تقصف أمريكا النصرانية وحلفاؤها النصارى قرى مدنية في أفغانستان وسوتها بالتراب على من فيها؟!

ألم تقصف أمريكا بقنابلها الهائلة ثلاثة أعراس للمدنيين الأفغان العزل، وتئد فرحتهم وتحولها إلى مآتم بحجة الاشتباه بوجود بعض المقاتلين بينهم؟!

أليست أمريكا البولسية هي صاحبة السجنين ـ سيئي

الذكر - أبو غريب وجوانتنامو اللذين أنسيا الناس سجن الباستيل، وما قبله بمعدلات تجاوزت حقوق الإنسان وألغتها في سجية أمريكية بامتياز.

ألم تزرع الدول النصرانية بدءًا ببريطانيا حتى أمريكا دولة الصهاينة في أرض الإسلام بقوة السلاح، وقتل المدنيين أهل الأرض، وإحلال اليهود - قتلة المسيح حسب عقيدة النصارى - مكانهم؟!

ونقول: إن كانت دعواكم بالدين؛ فالدين هو الإسلام، وهو الدين الذي لا يقبل الله سواه، وإن كانت بالتاريخ فمن المعلوم أن الفلسطينيين هم من عمر تلك الأرض من تاريخها الغابر وفي سفر الخروج (٥: ١٤): «تأخذ الرعدة سكان فلسطين» وفي هذا إثبات أنهم أهلها قبل اليهود.

قالت كاريل آرمسترونج في كتابها (القدس): «لم تشهد القدس في تاريخها الدموي الطويل سلامًا إلا حين فتحها المسلمون بقيادة عمر بن الخطاب، وحين أعادوا فتحها بقيادة صلاح الدين»، وقالت: «ولم يتمكن اليهود من دخول المدينة

المقدسة إلا في ظل الفتح الإسلامي في مناسبتين فقط هما: في عهد عمر، وعهد صلاح الدين»(١).

وقال الفيلسوف النصراني جان لوك في النصرانية: «هي ديانة سفّاكة وقتّالة، وتتعامل بالسيف مع كل من يقاومها»(٢). وقال كارلايل: «لم يحوّل شارلمان الساكسون إلى المسيحية بالدعوة ولكن بالسيف»(٣).

وأحيل القارئ الكريم إلى كتابي (أخلاق الكنيسة وأخلاق الإسلام) الذي بيّن وحشية الكنيسة في تعاطيها مع المخالفين ولو كانوا من نفس النحلة!

---

(١) القدس (٦٧١).

(٢) المسيحية. للشيخ ساجد مير (٣١٨).

(٣) الأبطال وتمجيد البطل، توماس كارلايل (٨٠).

صفحة بيضاء

عشر وقفات مع هذه التهمة

وهذه عشر وقفات خاتمة لما أسلفناه من حروف حيال هذا السؤال: هل انتشر الإسلام بالسيف؟

الأولى: حين سقطت الأندلس بيد النصارى أصدر البابا قرارًا بتقسيم أرض الكفار ـ ويعني بهم المسلمين ـ إلى دولتين هما إسبانيا والبرتغال وقامت محاكم التفتيش بأفعال وحشية ضخمة للقضاء على بقايا الإسلام في الأندلس بمنتهى البشاعة، فاستخدمت أقسى وأبشع وسائل التعذيب في تاريخ البشرية لمطاردة الإسلام في كل شبر من أرض ما صار يسمى إسبانيا والبرتغال، حتى صارت الهينَمة في جوف الليل مبررًّا لدخول رجال التفتيش أي بيت تسمع فيه، لأن ذلك الصوت هو صوت قراءة القرآن الكريم سرًّا في الصلاة في هدأة الليل، وصار وجود حمّام في أي بيت يدخله رجال التفتيش مبرّرًا لصبّ أنواع التعذيب على أهله؛ لأن الحمّامات داخل البيوت كانت في ذلك الوقت من خصائص المسلمين لنظافتهم وطهارتهم وسترهم وحيائهم.

ومع هذا التقطيع العرقي الديني ـ وليس التطهير ـ والتهجير والقتل والعسف والإكراه فقد استغرق الأمر مئتي عام حتى تكون الأندلس نصرانية خرافية ضالة بعد أن كانت حنيفة مسلمة مهتدية، وتم إعلان ذلك عام (١٤٩٢م).

وبعد سقوط الأندلس شجع البابا النصارى على متابعة المسلمين خارج الأندلس بنيّة القضاء على الدين الإسلامي في كل الأرض، ولكن بعد مشيئة الله ثم وجود الدولة العثمانية القوية في الشرق فقد حيل بينهم وبين ما يشتهون، فحالت تلك الدولة العثمانية دون اتجاههم لبيت المقدس وقتل مسلمي شمال أفريقيا والشام والأردن والجزيرة العربية، فحاولوا الالتفاف على العالم الإسلامي من أقصاه، وكانت البرتغال أول دولة استجابت للبابا وسارعت إلى تنفيذ مكره؛ ففي سنة (١٤٩٧م) قام فاسكو ديجاما برحلته الشهيرة التي أعلن بعدها كشفه طريق رأس الرجاء الصالح[١] ـ وقد كان هذا الطريق

(١) مع تسجيل أن الهدف الأول لهذه الكشوف الجغرافية كان تجاريًا ماليًّا.

معروفًا لدى المسلمين منذ قرون! ـ وبمعاونة البحار العربي المسلم ابن ماجد وعلى هَدْي الخرائط الجغرافية الإسلامية للشواطئ الأفريقية والآسيوية، فدار حول إفريقيا متجهًا نحو الشرق حتى وصل إلى جزر الهند الشرقية، وهناك قال قولته الصليبية الشهيرة عند وصوله لتلك الجزر: الآن طوقنا عُنُقَ الإسلام، ولم يبق إلا جذب الحبل ليموت.

ثم تتابعت رحلات الكشوف العلمية ـ المُدّعاة ـ التي مهّدت للاستعمار ـ الاستخراب ـ الصليبي للعالم الإسلامي، ولما برزت القوميات الأوروبية تلبّست الروح الصليبية تجاه المسلمين، فأصبح التنافس على استعمار البلاد الإسلامية ونهب خيراتها، وتنصير أهلها، وحتى حين أصبحت تلك القوميات علمانية تمامًا لم يؤثر ذلك على صليبية الحملات الاستعمارية؛ لأن الروح الصليبية صارت شيئًا قائمًا بذاته لا علاقة له بتدين أصحابه، إنما هي كراهية وحقد للإسلام والمسلمين، لا لتديّن الأوروبيين ولكن عداءً للمسلمين

ودينهم بوصفهم أعداء الأوروبيين[١].

إن التاريخ ليقف ساخطًا كارهًا متبرّمًا متبرءًا من أفعال النصارى في تلك الحقبة، ومن خزايا الكنيسة ومحاكم تفتيشها ما قرروه بقانونهم: «يحق لمحكمة التفتيش إذا أصرّ المتهم على إنكار أي تهمة أن تقطعه أشلاءً شلوًا بعد شلو أمام عينيه، وأن تقرض لحمه بالمقراض، وأخيرًا تحرقه»[٢] «وكانت المحكمة عبارة عن سجون مظلمة تحت الأرض بها غرف خاصة للتعذيب، وآلات لتكسير العظام وسحق الجسم البشري، وكان الزبانية يبدأون بسحق عظام الأرجل، ثم عظام الصدر والرأس واليدين تدريجيًا حتى يهشم الجسم كله، ويخرج من الجانب الآخر كتلة من العظام المسحوقة والدماء الممزوجة باللحم المفروم، وكان لدى المحكمة آلات تعذيب مروعة منها آلات على شكل توابيت تثبت فيها

(١) وانظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب (ص٥٦٧ـ٥٦٩)، الإسلام على مفترق الطرق، ليوبلد فايس ـ محمد أسد.(ص٥٢ـ٥٩).
(٢) حرية الفكر، سلامة موسى (٦٢).

سكاكين حادة فيلقون الضحية في التابوت، ثم يطبقونه عليه فيتمزق جسمه إرْبًا إربًا، وآلات كالكلاليب تغرز في لسان المعذب أو أثداء النساء ثم تشد فتقصه أو تخلعه أو تقطعه! وصور أخرى مروعة» وقد روى أحد الضباط الفرنسيين ما رآه من فظائع تلك المحاكم والسجون الأرضية إبّان دخوله لها[(١)].

الثانيـــة: قارن شناعات النصارى بكريم أخلاق المسلمين. وقد ذكرت المؤرخة النصرانية كارين آرمسترونج: «ظهر التراحم التوحيدي في فتح عمر بن الخطاب لبيت المقدس، ودون إراقة نقطة دم واحدة، أو إحراق للرموز الدينية، أو نزع ملكية، أو إجبار أحد على اعتناق الإسلام، أو طرد أحد»[(٢)] ثم مدحت الفتح الإسلامي السلمي على يد

---

(١) وانظر: التعصب والتسامح، محمد الغزالي (٣١١-٣١٨)، إسبانيا أرضها وشعبها، الفصل الثامن، دوروثي لورد، عن: العلمانية، د. الحوالي (١٣١، ١٣٢).

(٢) القدس مدينة واحدة وثلاث عقائد. الفصل الثالث عشر.

صلاح الدين الأيوبي، وذكرت بكاء صلاح الدين وهو يرى بؤس الأسر المسيحية تحت الحكم الصليبي، وقيام شقيقته بعتق ألف أسير مسيحي من مالها الخاص»[١].

وبالمثل تكلمت إيزيس حبيب المصري في كتابها (قصة الكنيسة القبطية) عن الفتح الإسلامي لمصر، وقالت في الكتاب الثاني: «انسحب الجيش البيزنطي من أمام المسلمين إلى الإسكندرية، ووقف القبط موقفًا سلبيًّا يتفرجون على الحوادث دون أن يتعرض لهم المسلمون، وكان البيزنطيون (النصارى الأوروبيون المحتلون لمصر) يستنزفون دماء المصريين»[٢]. وقالت: «وبعث عمرو بن العاص إلى بطريرك الأقباط ليعود إلى مقره من منفاه... ولم يطالبهم عمرو بغير الجزية، وألغى الضرائب الفادحة التي فرضها أباطرة القسطنطينية (النصارى) على المصريين (النصارى) بلا رحمة

(١) السابق (٤٨٢).

(٢) (٢٠٨).

وبلا تسامح معهم»[١].

الثالثة: شهادات منصفة للإسلام من كبار خارج دائرته:

قال الزعيم الهندي الشهير مهاتما غاندي في كتابه (ينج إنديا): «أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر، لقد أصبحت مقتنعًا تمام الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، وكلما اطلعت اكتشفت أن قوة الإسلام لا تكمن في السيف»، وقال: «إن نبي الإسلام هو الذي قادني للمناداة بتحرير الهند».

وقال الفيلسوف الأديب برنارد شو في كلام يقطُرُ صِدْقًا: «إن رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجة للجهل أو التعصب قد رسموا صورة قاتمة... لكنني اطلعت على أمر

(١) (٢١٢، ٢١٣) نقلًا عن: رد شبهات النصارى على الإسلام، الشماس المصري السابق د. وديع أحمد فتحي (ص١٤٧، ١٤٨) مع ملاحظة أن ما بين الأقواس للتوضيح وليست من صلب الكتاب.

هذا الرجل فوجدته أعجوبة خارقة، وتوصلت إلى أنه لم يكن عدوًا للمسيحية، بل يجب أن يسمى منقذ البشرية، وفي رأيي أنه لو تولى أمر العالم اليوم لوفق في حل مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو إليها البشر».

وقال: «أرجو أن يفهموا نبوءتي: فالإسلام قادم ليصبح العالم به في حب وسلام، فقد دخل وما يزال يدخل الإسلام كثرة هائلة من بني قومي، ومن الأقوام الأخرى، حتى ليمكن أن يقال: عن تحول أوروبا للإسلام قد بدأ... ولم يسجل التاريخ أن رجلًا واحدًا سوى محمد كان صاحب رسالة وباني أمة ومؤسس دولة، هذه الثلاثة التي قام بها محمد كانت وحدة متلاحمة، وكان الدين هو القوة التي توحده على مر التاريخ».

هذا وإبراهيم عليه السلام لم يؤسس مملكة ودولة، كذلك موسى عليه السلام، أما داود وسليمان عليهما السلام فقد ملكا على ممالك سابقة بعد عهد القضاة، والمسيح عليه السلام لم يؤسس مملكة ودولة، أما محمد ﷺ فقد أسس مملكة ودولة وشريعة

جديدة. وهناك شهادات كثيرة في ذلك[١].

الرابعة: التاريخ يؤكد سماحة الإسلام مع غيره ورحمة أبنائه بمخالفيهم، ولا يضاهيهم غيرهم في رحمة بني الإنسان. من أمثلة ذلك ما كتبه عنه المؤرخ أوليري ــ ومن أفواه أبنائكم نُدينكم ــ : «التاريخ يؤكد بوضوح عدم صحة الأسطورة القائلة بأن المسلمين المتعصبين قد صالوا وجالوا في العالم وفرضوا الإسلام على الناس بالسيف، أسطورة وهميّة منافية للعقل ظل المؤرخون يرددونها»[٢]. وقال: «كم ذا تمنيت أن يكون الإسلام هو سبيل العالم». وقال الدكتور راغب السرجاني مسلطًا الضوء على تلك المقولة ومفندًا لها بلغة الأرقام ـ باختصار وتصرف بسيط ـ: «لو قمنا بإحصاء عدد الذين ماتوا في كل الحروب النبوية ـ سواء من شهداء المسلمين أو من قتلى الأعداء ـ ثم قمنا بتحليل لهذه الأعداد، وربطها بما يحدث في عالمنا المعاصر، لوجدنا عجبًا! لقد بلغ

(١) وللمزيد انظر رسالتي: محمد رسول الله ﷺ.
(٢) الإسلام في مفترق الطرق، أوليري (٨).

عدد شهداء المسلمين في كل معاركهم أيام رسول الله ﷺ - وذلك على مدار عشر سنوات كاملة - (٢٦٢) شهيدًا تقريبًا، وبلغ عدد قتلى أعدائه (١٠٢٢) قتيلًا تقريبًا، وبذلك بلغ العدد الإجمالي لقتلى الفريقين (١٢٨٤) قتيلًا فقط!

وبحساب نسبة القتلى إلى عدد المقاتلين نجد أن شهداء المسلمين (١٪) فقط، والأعداء (٢٪) فقط، وبذلك تكون النسبة المتوسطة لقتلى الفريقين (١,٥٪) فقط! وهذه النسب الضئيلة جدًا في معارك كثيرة بلغت (٢٥) أو (٢٧) غزوة، و(٣٨) سرية، أي أكثر من (٦٣) معركة لمن أصدق الأدلة على عدم دموية الحروب في عهد رسول الله ﷺ.

ولكي تتضح الصورة بشكل أكبر وأظهر فقد قمت بإحصاء عدد القتلى في الحرب العالمية الثانية - كمثال لحروب الحضارات الحديثة - فوجدت أن نسبة القتلى في هذه الحرب الحضارية بلغت (٣٥١٪)! فالأرقام لا تكذب؛ فقد شارك في الحرب العالمية الثانية (١٥,٦٠٠,٠٠٠) جندي، ومع ذلك فقد بلغ عدد القتلى (٥٤,٨٠٠,٠٠٠) قتيل! أي أكثر

من ثلاثة أضعاف الجيوش المشاركة، والسبب هو أن كل هذه الجيوش المتحاربة كانت تقوم بإبادة المدنيين، وإسقاط آلاف الأطنان من المتفجرات على المدن والقرى الآمنة فتبيد البشر فضلًا عن تدمير البنى التحتية وتخريب الاقتصاد وتشريد الشعوب، فأين هذا من رحمة الإسلام؟!»(١).

لقد حكم المسلمون الأندلس لمدة (٧٣٦) سنة، مع ذلك لم يكرهوا أحدًا من النصارى ولا اليهود ولا غيرهم على الدخول في الإسلام، وحكموا الهند قرابة (١٠٠٠) سنة، ولم يُكرهوا الهندوس والبوذيين وبقية الوثنيين عليه، فشعارهم: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ونقول لمن وصف المسلمين بإكراه غيرهم باعتناق الإسلام تأمل في البقاع التي حكمتها أمة محمد ﷺ وقس حالهم بإنصاف مع غيرهم. في الحبشة بلغ المسلمون (٥٥٪) على الأقل من السكان قبل ضم أريتريا - عنوة - إليها، وأريتريا

---

(١) موقع: قصّة الإسلام، راغب السرجاني.

كلها مسلمون، فكيف عاملتهم الدولة النصرانية المتسلطة عليهم؟ - في وقت هيلاسلاسي -.

لا يوجد في الدولة وزير مسلم واحد يمثل أغلبية السكان، ولا موظف واحد من كبار الموظفين، ومدارس الدولة تمنع تعلم القرآن الكريم في مدارسها، وحين يفتح المسلمون الكتاتيب الخاصة الأهلية لتعليم القرآن الكريم تضع الدولة عليهم الضرائب الثقيلة حتى يغلقوها، ويُمنعون من تلقي معونات إنسانية وخيرية من الخارج، وإلى عهد غير بعيد كان المسلم إذا استدان من النصراني وعجز عن الوفاء استرقه النصراني! وقد وقف هيلاسلاسي في هيئة الأمم المتحدة وألقى خطابًا أعلن فيه أنه خلال اثني عشر عامًا لن يكون في الحبشة إلا المسيحية فقط! - وخَسِأَ الظالم -. وذهب الطاغية وبقي الإسلام.

ولا زال المسلمون من أهل أثيوبيا يعانون الاضطهاد والتضييق والظلم من حكومات النصارى المتعاقبة، وعسى فرَجُهم أن يكون قريبًا.

والفلبين كانت يومًا ما أرضًا إسلامية، وعاصمتها مانيلا كانت تُسمّى (أمان الله) فغزاها أهل الصليب، وحكموها قهرًا بالحديد والنار، وعاملوا أهلها أسوأ معاملة، فقد ظلوا يطاردونهم ويخرجونهم من أرضهم وديارهم وأموالهم حتى حصروهم في قطاع صغير، ثم سمّوهم متمردين فاستباحوا قتلهم، وتحريق مزارعهم، بل تحريق أجسادهم شفاء للحقد الصليبي المتأصل في نفوسهم، ولا غروا فسيّدُهم بولس قد أمرهم بقتل أبناء الجارية[١]!

والهند حكمها المسلمون وعاش أهلها في كنفهم في سلام وأمان، ولم يضطهدوهم ولم يُكرهوهم على الإسلام مع أنهم يعبدون البقر والأوثان، ولم يمنعوهم سوى من عادة قبيحة بشعة وهي إحراق الأرملة حية مع زوجها المتوفى - وهذا ما حفظه أحرار الهند لهم -. فلما حكمها الهندوس لم يعاملوا المسلمين بالمثل بل انقلبوا عليهم بتنكيل بشع وظلم،

(١) فرمزيتها أعم من حقيقتها، فهي ليست للإسماعيليين فقط، بل لكل مخالف لبولسيتهم وخرافتهم.

فلا تنقطع أخبار الشغب ـ كما تسميه الدولة الهندوسية ـ عن طريق هجوم الهندوس على القرى الإسلامية فيحرقوها على أصحابها ويقتلوا منهم ما نالته أيديهم، فيهب المسلمون لرد العدوان فتقتلهم الشرطة وتودعهم السجون بتهمة إثارة الشغب! بل صرح رئيسهم نهرو ـ والحكومة اليوم على خُطاه ـ فقال: إن حق تقرير المصير حق لكل الناس إلا في كشمير!

أما فلسطين فشاهدة حيّة ناطقة بالتحالف الكتابي على أهلها المسلمين.

قال الزعيم الألماني الفوهلر هتلر في كتابه "كفاحي": «أعتقد أن الذي استطاع أن يتعامل مع اليهود ويكسبهم ويشل حركتهم في نفس الوقت هو رسول الإسلام محمد، الذي فهم ما تدور به عقولهم وقلوبهم، لذا كان محمد حريصًا منهم حريصًا عليهم ليبلغ رسالته، فاستقطبهم بطريقته التي لم ولن يصل إلى رتبتها أحد، فالتعامل مع اليهود مشكلة غير عادية، إنهم لا يستحقون الحياة، إلا أن محمدًا كان واسع الصدر، يملك منطقًا غير عادي، تأكدنا منه لتعامله معهم

بالود الذي لم يألفوه، وبالقوة التي شهدوها... أعتقد أنه لو كان محمد في عصرنا هذا ما فعل ما فعلت مع اليهود، لكنهم لا يستحقون إلا ما قمت به معهم»[١].

وإن تعجبْ فعجبٌ فعلُ النصارى معهم بتوطينهم في فلسطين لمّا ركبهم اليهود، وأوهموهم أنه لابد من بناء الهيكل المزعوم ـ حتى ينزل المسيح ـ ولم يعلموا أن مسيح اليهود هو الأعور الكذاب، وكم في البروتستانتية من سِرٍّ يهوديٍّ عتيق؟!

وقال إيليا أبو الروس: «وتاريخ اليهود حافل بتعصبهم اللئيم ضد المسيحيين وسائر الأديان، ففي سنة (١٣٥م) حاولوا بقيادة باركوخبا المسيح الدجال إقامة مملكة، وذبحوا المسيحيين في القدس، وفي القرن السادس تجمعوا وأقاموا ملكًا مع السامريين وقتلوا المسيحيين، وفي أوائل القرن السابع ذبحوا المسيحيين في القدس وسائر فلسطين برعاية الفرس طمعًا في إقامة حكم ذاتي لهم، كل ذلك من أجل دولة يقيمونها على

(١) عن: الإسلام ورسوله (١٠٣).

سفك الدماء والسرقة والغش، فباؤوا بفشل ذريع، وتشتتوا في أنحاء الأرض. «لأن أعمالهم أعمال إثم وفعل الظلم في أيديهم. وأرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم الزاكي. أفكارهم أفكار إثم. في طريقهم اغتصاب وسحق. طريق السلام لم يعرفوه. وليس في مسالكهم عدل. من أجل ذلك ينتظرون نورًا فإذا ظلام» (أشعيا ٥٩: ٦ـ٩)[1].

إن الإسلام حيث يدعو للجهاد لا يقاتل من أجل فرض عقيدته على الناس وهم كارهون، ولكن يقاتل لإزالة القوى الجاهلية المانعة من وصول الحق إلى الناس، دون حواجز نفسية أو حسية مادية. لقد فتح المسلمون مصر فدخلت الإسلام بسلام، وفتحوا الأندلس فدخلت في الإسلام بسلام، حتى اليهود كانت الأندلس الملاذ الآمن لهم من بطش النصرانية الصليبية.

فدينهم العظيم يأمرهم بالحسنى، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ

---

(١) اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية، إيليا أبو الروس (٤٩).

سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، وأمرهم تعالى بمجادلة أهل الكتاب من اليهود والنصارى بالتي هي أحسن خلا الظالمين: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ومن التطبيقات الإسلامية لقوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ما ورد في سنن البيهقي[١] عن أسلم قال: «لما كنا بالشام أتيت عمر بماء فتوضأ منه، فقال: من أين جئت بهذا فما رأيت ماء بئر ولا ماء سماء أطيب منه؟ قال: قلت: من بيت هذه العجوز النصرانية. فلما توضأ أتاها فقال: أيتها العجوز أسلمي تسلمي، بعث الله بالحق محمدًا ﷺ. قال: فكشفت رأسها فإذا مثل الثغامة[٢] قالت: وأنا أموت الآن. قال: فقال عمر: اللّهم اشهد» فعمر لم يستخدم عليها

---

(١) (٣٢/١).

(٢) أي أن شعر رأسها قد ابيض كله كالسحابة البيضاء.

ولا على غيرها أي وسيلة إكراه أو ضغط ولا تهديد ولا تعذيب، بل بالنصح والكلمة الطيبة، وهذا شأن دعاة أهل الإسلام أيها المنصفون.

وتأمل قصّة إسلام ثمامة بن أثال سيد بني حنيفة حينما أسرته خيل المسلمين فأبقاه النبي ﷺ في المسجد ثلاثة أيام، وكان يعرض عليه الإسلام عرضًا كريمًا، وكان يرفض الإسلام، فأطلقه بلا قيد أو شرط، فلما خرج من المسجد ذهب إلى نخل قريب فاغتسل وعاد معلنًا إسلامه اختيارًا وقناعة[١].

وقد قال أبو سفيان ـ بعد أن حارب الإسلام عشرين سنة ـ ثم هداه الله للإسلام ـ مخاطبًا رسول الله ﷺ: «لقد حاربتك فنعم المحارب كنت، ثم سالمتك فنعم المسالم أنت»[٢].

---

(١) والقصة بطولها في البخاري (٤٥٠)، مسلم (١٧٦٤).

(٢) الوافي بالوفيات، الصفدي: ١/ ٢٢٤٠.

الخامسة: قد يتعلّق بعضهم بحد الردّة، وقتل المرتد إن لم يعد للإسلام ـــ وسيأتي بسط الكلام فيه استقلالًا في ما يُستَقبل إن شاء الله[١] ـ ونوجز القول فيه هنا فنقول:

إن كان المرء قد دخل في الإسلام ثم خرج منه فهذا من الهزء بالدين، وهذا مما يزعزعه في نفوس الناس فيهلكوا، لذا وجب حسم مادة الفتنة بقطع دابرها والتشديد على من أراد هدم الملة من الداخل، وهذا أعظم جرمًا من الخيانة العظمى عند السياسيين، والدين أعظم من الملك.

ونحن أمام مسلم ارتكب جريمة معينة هي الردة، ولسنا أمام يهودي أو نصراني نريد إكراهه على تبديل دينه وحمله كرهًا على الإسلام.

والإسلام شرع الجزية وعقد الذمة وفي ذلك إقرار لغير المسلم على البقاء على دينه، أما المرتد فقد نقض العقد وارتكب الخيانة العظمى.

---

(١) انظرها في (كشف شبهات أهل الكتاب عن الإسلام) للمؤلف.

السادسة: المسلمون إذا أعطوا أعداءهم عهدًا فإنهم يوفون به ولا ينقضونه ولا يغدرون، ممتثلين أمر الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤] وقول نبيهم ﷺ: «**اغزوا باسم الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا ولا شيخًا ولا امرأة**»(١).

فالمسلمون يشددون على العقد ولا ينقضونه، أما من خافوا خيانته من الأعداء فإنهم يردون عليه عهده علانية حتى لا يكون مغدورًا، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]. والمعنى: أن من خفتم خيانتهم ممن بينكم وبينهم عهد، فلا يحل لكم أن تغدروا بهم، بل أرسل إليهم بفسخ العهد أولًا حتى يكونوا على بينة وجلاء من أمرك وأمرهم، ليأخذوا أُهبتهم فلا يُغدرون.

---

(١) رواه مسلم.

وقد أعطى معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عهدًا للروم إلى أمد محدود، ثم جاءته عيونه تخبره أن القوم يستغلون الهدنة للانقضاض على المسلمين ويستعدون لذلك، فاستشار مستشاريه من علماء الإسلام فقالوا: إمّا أن ترد إليهم عهدهم وتخبرهم بفسخه حتى لا تبغتهم، وإما أن تنتظر إلى نهاية العهد، والله ينصرك بالطاعة والوفاء، فانتظر حتى نصره الله.

وقارن ذلك النبل والكرامة بغدر الصليبيين بعهدهم مع صلاح الدين، ومباغتتهم المسلمين ونقضهم العهد والميثاق، فقتلوا المسلمين وأثخنوهم، فاحتمى المسلمون بالمسجد فقتلوهم فيه حتى غاصت الخيل إلى الركب من الدماء... فلما استدار الزمان ودالت الدولة وانتصر صلاح الدين أبى عليه دينه وإسلامه أن يشفي غيظه منهم بالانتقام، فأحسن إليهم! ولم يغدر قط بميثاق واحد أعطاه لهم، في مثال شامخ على سماحة الإسلام ونبله وكرمه وعمقه[1].

وتأمل وفاء المسلمين لأهل ذمتهم في حال الهزائم

---

(١) وانظر: مذاهب فكرية، محمد قطب (٥٩١-٦٠٢).

العسكرية، فحين أسر التتار في هجومهم على بلاد الشام بعض المسلمين واليهود والنصارى، ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية ومعه ثُلَّةٌ من العلماء إلى سيّد التتر غازان ـ في محاورة هائلة عظيمة جليلة ـ فسمح غازان بعدها بإطلاق أسرى المسلمين دون اليهود والنصارى، فقال شيخ الإسلام: بل تطلق جميع من أخذت من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا فإننا نفتكُّهم، ولا ندع أسيرًا لا من أهل الملّة ولا من أهل الذمة، فأطلقهم له[١].

ألا فحدّثوني عن تاريخ النصارى مِنْ أَوَّلِهِ: هل لهم بهذا الوفاء مثيل؟!

السابعة: نقول للذي يزعم أن الإسلام انتشر بالسيف: كيف يستقيم ذلك ونحن نرى الإسلام اليوم هو أسرع الأديان انتشارًا بين أبناء الأمم النصرانية وغير النصرانية،

---

(١) انظرها مع بقيّة سيرته العطرة في: الجامع لسيرة شيخ الإسلام خلال سبعة قرون، العقود الدرية، لابن عبد الهادي، الأعلام العلية، للبزار.

خاصة من علية القوم وقادة الفكر، ودهاة السياسة، وأساطين العلم، وليس في أوساط العامة فقط، مع أن المسلمين اليوم يعيشون أضعف مراحلهم المادية والعسكرية؟!

بل حتى الجيوش التي غزت المسلمين في دارهم قد تأثرت بالإسلام وبحضارته المُشْرِقَة؛ فالمغول قد دخلوا فيه واعتنقوه مع أنهم المنتصرين ماديًّا وعسكريًّا، والصليبيون قد دخل كثير منهم فيه أو عادوا لوطنهم بفكر منفتح حُرٍّ بعدما احتكوا بالمسلمين.

فمن ذلك مثلًا على مستوى القادة والزعماء والعلماء النصارى الذين اعتنقوا الإسلام بعد خوضهم الحروب العسكرية أو الفكرية مع أهله وحسن دعوة أهله لهم بحالهم وفعلهم قبل مقالهم وجدلهم: روبرت أوف سانت ألبانس، أحد كبار قادة فرسان المعبد سنة (١١٨٥م) وقد تزوج بإحدى حفيدات صلاح الدين، كذلك ابني أخت الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد، وقد تركا معسكر جيشهما

إلى معسكر المسلمين، والتحقا بجيش صلاح الدين سنة (١١٩٢م) (٥٨٧هـ) كذلك الفارس الصليبي المشهور رانيود الذي أسلم، وانضم بفرقته العسكرية إلى المسلمين.

وفي الحملة الصليبية الأولى انفصلت جماعة كثيرة من الألمان وغيرهم من جيشهم إلى الجيش الإسلامي السلجوقي معتنقة الإسلام.

وفي الحملة الصليبية الثانية انضمت فرقة كبيرة من الجيش الصليبي قوامها أربعة آلاف مقاتل تقريبًا إلى جيش الإسلام بعد فشل الحملة.

أما الحملة الصليبية الثالثة فقد ذكر توماس أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) أن في تلك الحملة انضمت أعداد غفيرة من جيش الصليب إلى جيش الإسلام، وساق شهادة مؤرخ غربي مرافق لهذه الحملة ومتحسّرًا على دخول جموع غفيرة من قومه في الإسلام: «وفريق من رجالنا تراهم يهجرون بني جلدتهم ويفرون إلى الأتراك، فلم يترددوا أن يصبحوا في زمرة المرتدِّين». كذا!

ومن رجال الدين النصراني البولسي الذين صَدَقُوا مع نفوسهم حين خاطبوها بالإسلام فأسلمت؛ عبد الواحد الصوفي الذي كان قسًّا بكنيسة مريم في دمشق سبعين سنة، كذلك فقد أسلم دانيال أسقف خابور في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي. وقد أشار توماس أرنولد نقلًا عن بعض المصادر اللاتينية إلى خلو كثير من الأسقفيات القبطية في بداية القرن الثالث عشر الميلادي في مصر من الأساقفة، ومن أمثلة ذلك دير القديس مكاريوس فلم يبق منه غير أربعة قسس من أصل ثمانية في عهد البطريرك السابق. بل إن أحد رجال الدين الفرنسيسكان المنصرين لما أرسل إلى أفريقيا للتنصير عاد مسلمًا، وقد ذكر توماس أرنولد كثرة اعتناق القساوسة النصارى للإسلام في تلك الفترة.

أما اعتناق الإسلام من قبل عامة النصارى فإنه لا خلاف أن العراق والشام ومصر وشمال أفريقيا والأندلس وغيرها كانت الديانة الغالبة على أهلها والسائدة على أرضها هي النصرانية قبل ظهور الإسلام، ومع انتشار نوره وضيائه

دخل الناس فيه من تلك البلدان حتى أصبح الإسلام هو دين الغالبية، بدون إكراه أو تهجير، بل بالدعوة بالحسنى حتى هجر أكثرهم نصرانيته إلى الإسلام، وقد أسلم على يد ابن الجوزي وحده مئتان منهم.

وذكر توماس أرنولد أنه بانتهاء القرن الحادي عشر الميلادي انضم إلى أهالي الشام وفلسطين من المسيحيين عنصر جديد يتألف من هذه الجموع الهائلة من الصليبيين الذين كانوا يدينون بشعائر الأمم اللاتينية... وفي تلك الفترة كانت تحدث تحولات إلى الإسلام بين هؤلاء المهاجرين الغرباء... وكانت أعداد المرتدين عن المسيحية في القرن الثالث عشر كثيرة كثرة تلاحظها في سجلات الصليبيين القانونية التي يطلق عليها مجالس قضاء بيت المقدس، ومما يدل على كثرة اعتناق النصارى للإسلام في تلك الفترة فزع أحد قساوستهم في الشام وإرساله رسائل إلى البابا ورجال الدين في أوروبا، يطلب فيها أن لا يرسلوا الضعفاء والفقراء،

لأنهم أكثر عرضة أن يفتنهم المسلمون فيعتنقون الإسلام[١].

الثامنة: دندنة أعداء الأمة وتكرارهم ما نسجته أيدي مخابرات أمريكا بحادثة برجي التجارة في الحادي عشر من سبتمبر، فلا نسلم لهم بحكاية الحكومة الأمريكية في زعمها أن المسلمين هم من فعلوا ذلك ببرجي التجارة العالميين، فالمعطيات المقدمة لا تصمد لأدنى مساءلة، والأدلة المطروحة لا تكفي لقتل قطّة، فما بالك من الانتقام من شعوب بأكملها؟!

والأظهر أن هذا من تلفيق الحكومة الأمريكية، فهي من فعلت ذلك، وهي من زرعت الأدلة الواهية، وقد شكّك في روايتها كثير من السياسيين والإعلاميين والمفكرين والعامة،

---

(١) وانظر للاعتبار: دعوة المسلمين للنصارى، الرسالة الناصرية، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد. البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، تاريخ الحروب الصليبية، رحلة ابن جبير، مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب.

ومن أبسط قواعد التحقيق في القضايا: ابحث عن المستفيد من الجريمة أولًا، والجميع يعلم أن الحكومة الأمريكية لها فوائد كبيرة وغنائم كثيرة من جراء تصديق الناس لدعواها، وهي التهمة التي تستطيع مخابراتها إلصاقها بسهولة فيمن شاءت، ثم تدير آلتها الإعلامية الضخمة من زوايا عدة حتى تشكل تصوّر المتلقي ليصدّق بنمطية ساذجة هذا الزيف الكُبَّار! ويستمر الكذب تلو الكذب حتى ينسى الكاذب أنه كذب، وشعاره: ما أريكم إلا ما أرى، ثم من المعلوم بداهة في إجراءات الترافع والدعاوى أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، وليس بالدعوى فقط يكون إيقاع العقوبة، والعقلاء وقّافون عند حدود التهم، ولا يَلِغُ في العقوبة قبل الثبوت إلا ظالم! كيف وقد قال مدير المخابرات الأمريكية الأسبق جورج تينيت في مذكراته: إن بوش دخل البيت الأبيض وقرار غزو العراق في جيبه!

ثم إن هاهنا مسألة أخرى، وهي أن الأمة لا تؤاخذ بجريرة بعض أفرادها ـ هذا مع التنزّل بما يوصم به بعض

أتباعها من ذلك ـ ومن محكمات التنزيل عندنا: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ٣٦ـ٣٨]، والبشرُ لا يستوون على نفسيّة واحدة، ولا عقليّة متقاربة، ولا سجيّة متّحدة، بل خلقهم الله تعالى مختلفين، والإسلام يهذب النفوس مهما كانت شراستها وشدة طباعها، مع ذلك فمما يؤسف له أن يخرج بعض المنتسبين إليه من أبنائه ويفعل أشياء يكون محرّكها الأول ردّة فعلٍ لمظالم وفجائع يراها بعينه، ومهما يكن من أمر.

وبغض النظر عن قضية بعينها فالإسلام بريء من كل ظلم وتعدي وخيانة وغدر وقتل للمدنيين العزل وإرهاب للأبرياء، فالملوم هو من خرج عن تعاليم الإسلام الربانية السمحة، وليس الملوم هو الإسلام، وما أفلح مَنْ ظَلَم!

التاسعة: تأمل هذين المشهدين واحكم بنفسك، وهما مثالان معبران عن سمات راسخة في الفريقين المُفترقين:

الأول: حينما قدم وفد نجران النصارى لرسول الله ﷺ

في المدينة، فحانت صلاتهم فقاموا يصلون في المسجد، فأراد بعض الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ: «**دعــوهم**»، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم[١].

الثاني: في الترجمة الحديثة لكتاب الحياة يفسر البطريرك والقسيس قول المسيح في (متى ٧: ٦): «لا تعطوا القُدُس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير» بأن المقصود: لا تعطوا الأناجيل للمسلمين!

ولا أعلم كيف يستجيز أحدٌ لنفسه هذا الكلام وهو يعلم أن المسلمين لم يُخلقوا أصلًا إلا بعد مئات السنين من تلك الكلمة المشكوك في صحتها أصلًا! ولكن الحقد يفعل أكثر من ذلك، وكلُّ إناءٍ بالذي فيه ينضحُ!

إن الأمة المسلمة تمنعها ريادتها الحضارية وكنزها العلمي الإيماني العملي أن تنزل لمستوى يجازي السيئة بمثلها، ففي حين أبت الشهامة المحمدية أن تأخذ عوضًا عن جثة الكافر

(١) تاريخ الإسلام، للذهبي (٥٤٩).

الذي قاتلهم في الخندق وقتله المسلمون وبذل أهله المال في سبيل الحصول على جثته، فوهبهم رسول الله ﷺ جثته مجانًا، نرى في المقابل أمريكا رأس النصرانية بحربها الصليبية المقدسة! تأبى مبادؤها الجوفاء إلا أن ترمي بجثة المسلم في البحر وتبخل عليها بمتر من الأرض يحويها ـ هذا إن صدقت في روايتها المهتزّة، والزور من معدنه لا يستغرب ـ ولما أسر المسلمون المصريون ملك فرنسا ومجيّش الجيوش الصليبية لحرب المسلمين لويس الرابع عشر، فما تراهم قد فعلوا به؟ لقد أكرموه في سجنه، ولم يهينوه ولم يمنعوه من حاجاته، ثم توّجوا لطفهم بإطلاقه، مع أنه أسير حرب معتدي مستحق للقتل، ولكن الغادر جزى إحسانهم بالسيئة، فأسّس حربًا جديدة هي حرب الأفكار والقيم، والغزو الفكري والخلقي للمسلمين الأتقياء، ويا ويله، ما ينقم من أهل الصلاة؟!

وقد أخذ بوصاياه غلادستون ـ زعيم حزب الأحرار البريطاني ـ فقال: ما دام هذا القرآن موجودًا بين أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن

تكون هي نفسها في أمان[١].

وليس هذا فقط فلم تمر الأيام حتى غزاهم نابليون بونابرت بجيوشه وضرب الجامع الأزهر بالمدافع!

والآن نطرح السؤال الكبير: من هم الأولى بالمسيح حقًّا حين يقول ـ فيما ينسبونه له ـ : «أحبوا أعداءكم. أحسنوا إلى مبغضيكم. باركوا لاعنيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم. من ضربك على خدك الأيمن فاعرض له الآخر أيضًا. وكل من سألك فأعطه. ومن أخذ الذي لك فلا تغالبه. وكما تريدون أن يفعل الناس بكم فافعلوا أنتم أيضًا بهم هكذا. وإن أحببتم الذين يحبونكم فأي فضل لكم فإن الخطاة أيضًا يحبون الذين يحبونهم. وإذا أحسنتم إلى الذين يحسنون إليكم فأي فضل لكم فإن الخطاة أيضًا يفعلون هكذا» (لوقا ٦: ٢٨ـ ٣٤)؟ وسنأخذ الإجابة من أفواه المنصفين من غير المسلمين فهم غير متّهمين في حكمهم هذا

---

(١) كما نقله عنه صاحب كتاب قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله (٣٨).

بالتحيز:

قال أرنست رينان: «لقد فهمت، لقد أدركت، ما تحتاج إليه البشرية هو شريعة سماوية تحق الحق وتزهق الباطل، وهي شريعة القرآن».

وقال الأديب الروسي الشهير تولستوي في كتابه (حِكَم النبي محمد): «إن شريعة محمد ستسود العالم لانسجامها مع العقل والحكمة». وقال: «لا يوجد نبي حظي باحترام أعدائه سوى النبي محمد، مما جعل الكثرة من الأعداء يدخلون الإسلام».

وقال المستشرق الألماني برتلي سانت هيلر في كتابه (الشرقيون وعقائدهم): «كان محمد في دعوته رحيمًا لطيفًا حتى مع أعدائه».

وقال الكونت كاتياني في كتابه (تاريخ الإسلام): «لقد جاء الرسول محمد بدعوته لينشر في العالم الحب والسلام».

وقال شاعر ألمانيا غوته: «استطاع رسول الإسلام بحبه للخير أن يجعل دعوته ورسالته تمتد وتنتشر وتضرب

جذورها في أعماق النفس البشرية التواقة دائمًا للتعرف على النواحي الإيجابية في الحياة».

وقال المستشرق الإسباني غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب): «إن محمدًا رغم ما يشاع عنه من قبل خصومه ومخالفيه في أوروبا، قد أظهر الحلم الوافر والرحابة الفسيحة».

وقال المستشرق الإسباني جان ليك في كتابه (العرب): «لا يمكن أن توصف حياة محمد بأحسن مما وصفها الله بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] كان محمد رحمة حقيقية، وإني أصلي عليه بلهفةٍ وشوق» ألا ما أجمل الإنصاف وأروعَ العدل!

وقال الشاعر والمفكر الفرنسي فولتير: «إن الإسلام دين يستحق الإعجاب والإجلال والتقدير، وذلك لأنه جعل زنوج وسط أفريقيا يشعرون بآدميتهم، وجعل سكان جزر البحر الهندي يعرفون أن هناك قوة غير التي اعتادوا عليها». ثم ذكر شائعة انتشار الإسلام بالسيف وفندها بقوله: «هناك

شائعات تحاول أن تقلل من قيمة الإسلام ورسوله، والدليل على ذلك أن كثيرين اعتنقوا الإسلام وهم بعيدون عن بلاده وغزواته وفتوحاته، إذن كيف وصلهم السيف الذي يدعيه مؤرخونا وخطباؤنا؟!... إن أقل ما يقال عن محمد: أنه قد جاء بكتاب وجاهد، والإسلام لم يتغير قط».

وقال برتراند راسل: «لقد قرأت عن الإسلام ونبي الإسلام فوجدت أنه دين جاء ليصبح دين العلم والإنسانية»(١).

العاشرة: مقارنة عجلى بين تكوين النفسيات البانية

---

(١) لتوثيق الأمثلة والنقولات السابقة مع زيادات انظر: حوارات مع مسلمين أوروبيين، د.الأهدل، آفاق جديدة للدعوة، ومقدمات العلوم والمناهج، أنور الجندي، عظماء ومفكرون يعتنقون الإسلام، محمد طماش، الإسلام في قفص الاتهام، د.شوقي أبو خليل، أمريكا والإسلام تعايش أم تصادم؟ د.عبد القادر طاش، القرآن الكريم من منظور غربي، د.عماد الدين خليل، أوروبة والإسلام، د.عبد الحليم محمود، التنصير والاستعمار، عبد العزيز الكحلوت، الإسلام، د. أحمد شلبي.

للحضارات الإنسانية لأتباع الديانات الثلاث، فمع السكون يسود السلام:

فنرى الديانة اليهودية قد أكب رجالاتها على المال وجمعه كيفما اتفق، سواءً كان رِبًا أو ضرائب أو غشًّا أو سرقات للقرابين ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [البقرة: ٩٦]، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥].

وفي المقابل نرى في الديانة النصرانية الحث على الرهبانية والانقطاع عن الحياة العامة، والانزواء في الصوامع والأديرة، تاركًا حرث الدنيا وعمارة الأرض ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧].

ثم نرى في الوسط بين تلك الفئتين الإسلام الحنيف يأمر بالإقبال على الآخرة مع حراثة الدنيا ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ

ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]، وأمر بالضرب في الأرض وعمارتها وبنائها لتعين على الآخرة لا لتصد عنها، في اتساق بديع باهر ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ﴾ [الملك: ٥]، ﴿كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ﴾ [سبأ: ١٥] وخفف عن عباده صلاة الليل لينشطوا في الصباح لرزقهم ﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] بل وضرب الإسلام أروع مثال في الإيجابية وحب العمل والإنتاج والنفع العام، قال رسول الله ﷺ: «**إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها فإن له بذلك أجر**»[١].

وتأمل هذه القصة: روى أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أن رجلًا من الأنصار جاء إلى النبي ﷺ يسأله (أي مالًا) فقال: «**أما في بيتك شيء؟**» قال: بلى، حِلْس (جلد) نلبس بعضه، ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه الماء، قال: «**ائتني بهما**» فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: «**من**

(١) رواه أحمد في المسند، والبخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني.

يـشتري هـذين؟» قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. فقال رسول الله ﷺ: «**من يزيد على درهم؟**» مرتين أو ثلاثًا، قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، فأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري وقال: «**اشتر بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدومًا (حديدة الفأس) فائتني به**» فأتاه به، فشد فيه رسول الله ﷺ عودًا بيده، ثم قال: «**اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يومًا**»، ففعل، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبًا، وببعضها طعامًا، فقال رسول الله ﷺ: «**هذه خير لك من أن تجيء المسألة نكتة (أي بقعة) في وجهك يوم القيامة، وإن المسألة لا تصلح إلا لثلاث: لذي فقر مدقع، أو لذي غُرْمٍ (دين) مفظع، أو لذي دم موجع (دية)**»(١).

وقال فانسان مونتيه أستاذ اللغة في جامعة باريس: «لما قرأت القرآن لأول مرة في حياتي... وعرفت تسامح الإسلام

(١) رواه أبو داود.

تجاه الديانات الأخرى، أعلنت إسلامي، فشعرت بالراحة في ظلاله... وليس مثل الإسلام دين يدفع إلى الأخلاق العليا والكرامة الإنسانية، لقد اخترت دين الإسلام لأنه دين الفطرة... أخذته دينًا ألقى به وجه ربي»[١].

وقال مارماديوك (وقد أسلم وتسمى: محمد مارماديوك باكتال) في كتابه (الثقافة الإسلامية): «يمكن للمسلمين أن ينشروا حضارتهم في العالم بنفس السرعة التي نشروه بها سابقًا، يرجعوا إلى أخلاقهم السابقة؛ لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم».

ختامًا نقول بكل ثقة: إن أمة الإسلام هي أسمى أمة حضارية في التاريخ بلا منازع، وهي أمة الرحمة والسماحة، ولم تسعد البشرية في زمن كسعادتها بدين الإسلام.

والحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه وعميم نعمائه وغزير آلائه التي لا نحصي لها عدًّا ولا نطيق لها

---

(١) انظر: القرآن الكريم من منظور غربي، د. عماد الدين خليل: ٧٨.

شكرًا فله الحمد كلّه، وصلى الله وبارك على إمام المرسلين وخاتمهم نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان وسلم تسليمًا.

إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

٢٢ محرم ١٤٣٤هـ

aldumaiji@gmail.com

فهرس

الموضـــــــــوع	الصفحة
مقدمة	٣
شبهة انتشار الإسلام بالسيف والإكراه عند غير المسلمين	٢٧
عشر وقفات مع هذه التهمة	٥٥
فهرس	٩٥

صفحة بيضاء

سلسلة

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾

تأليف: إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

١) محمد رسول الله ﷺ.

٢) هل انتشر الإسلام بحد السيف؟

٣) كشف شبه أهل الكتاب عن الإسلام (١٣ شبهة).

٤) المسيحية من التوحيد إلى الوثنية.

٥) أخلاق الكنيسة وأخلاق الإسلام.

٦) يا سائلاً عن بني إسرائيل!

٧) المسجد الحرام والحج في صحف أهل الكتاب.

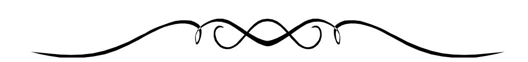
٨) سبع بشارات توراتية بنبي الهدى الخاتم عليه الصلاة والسلام.

٩) أشهر بشارات العهد الجديد بنبيّنا محمد ﷺ.

١٠) نظرة فاحصة في الكتاب المقدّس «البيبل».

١١) العقائد المسيحيّة في الميزان.

١٢) ربحت محمدًا ولم أخسر المسيح صلى الله عليهما وسلم.



الصف والتنسيق والإخراج الفني

أ. خالد محمد جاب الله ـ مكة المكرمة ـ جوال: ٠٥٠٢٥٤٣٩١٧